الهالة

وقصص أخرى

اسم الكتاب: الهالة
اسم المؤلف: طارق إبراهيم الشناوي
التصنيف: قصص قصيرة
الحجم: 14 - 20
عدد الصفحات: 80
سنة الإصدار: 2024
رقم الإيداع: 26404 / 2024
الترقيم الدولي: 8 – 051 – 971 – 977 - 978
تدقيق لغوي: د. طارق إبراهيم الشناوي
تصميم غلاف: داليا أحمد
تنسيق وإخراج: فريق ديوان العرب

الناشر
ديوان العرب للنشر والتوزيع

إميلات الدار
dewanalarabegypt@gmail.com
dewanelarab1978@gmail.com

الهالة

وقصص أخرى

طارق إبراهيم الشناوي

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

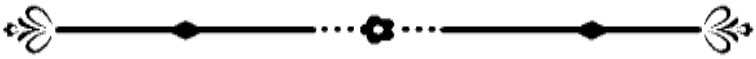

إهداء

إلى أبي وأمي،

إلى زوجتي،

إلى ابني عبدالرحمن وابنتي حبيبة،

أهدي هذه المجموعة..

طارق إبراهيم الشناوي

****

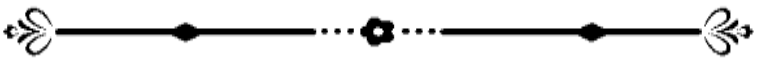

الهالة

أجمل ما في يوم الجمعة هو أنني أستطيع أن أصحو متأخرًا. توقظني زوجتي عادةً قبل صلاة الجمعة بعدة دقائق. كعادتي في السنوات الأخيرة، أنام، وأضع بجانبي الهاتف المحمول، لا أضبطه على الوضع الصامت، فلم يحدث أن اتصل بي أحدٌ قبل صلاة الجمعة، منذ سنين. لو أراد الأعداء أن يشنوا هجومًا مباغتًا على هذا البلد، فلن يجدوا أفضل من صباحات الجمعة. ربما لهذا السبب، استيقظتُ اليوم من نومي مفزوعًا على رنين الهاتف المحمول. كانتْ الساعة تقترب من العاشرة صباحًا، ولم تكن زوجتي قد استيقظتْ بعد. ساورتني الهواجس، ما الذي يجعل أي شخص يتصل بي الآن، بل ما الذي يجعله مستيقظًا من الأساس؟ لا ريب أن هناك مصيبة في الطريق، أحدهم مات، أو يموت، وهم يتصلون بي ليبلغوني بالخبر المشئوم. ظهر اسم المتصل على شاشة الهاتف، كانتْ متصلة، زينب، زينب من؟ أنا لا أعرف سوى زينب واحدة، زوجة صديقي القديم الدكتور حاتم. لم أرَه منذ شهور، ولم أرَ زينب نفسها منذ سنوات. هل حدث له شيء؟ فتحتُ الاتصال، وأنا أتوجس مما هو آتٍ. كانتْ زينب منهارة، تبكي بحرقة، وتطلب مني أن أحضر إليهم فورًا، وبصعوبة استطعتُ أن أستخلص منها ما حدث؛ أصيب حاتم بنوبة هياج مفاجئة، جعلته يحطم كل الأشياء التي في المنزل،

ويوقظها من النوم هي والأولاد، ثم يعتدي عليهم بالضرب، وهو يتهمهم جميعًا بأنهم، مثلهم مثل بقية الناس، لا يحبونه، ما عدا أبويه، وأنا، وأنها لهذا السبب اتصلتْ بي، معتقدةً أنني الوحيد القادر على تهدئته. أخبرتني بكلمات متهدجة بأنهم استطاعوا أن يحتجزوه في إحدى غرف المنزل، وأنهم يوصدون عليه الغرفة من الخارج، بالمفتاح، وأنهم في انتظاري بأسرع ما يمكن، لإنقاذ صديقي القديم، ثم أنهتْ المكالمة فجأة.

قاتلك الله يا زينب، وأنتَ يا حاتم، ألم تجد وقتًا أسوأ من صباح الجمعة لتجن فيه؟ وأنتِ يا زينب، ماذا تنتظرين مني؟ هل سأقوم بتهدئته، وأنتزع السلاح الذي بيده، غالبًا عصا أو حزام، حتى يأتيَ رجال المصحة النفسية، فيلبسونه القميص الأبيض بالمقلوب، ويأخذونه معهم عدة أيام حتى تستريح أعصابه؟ وكيف سأهدئه، وأنا لم أشرب قهوتي الصباحية بعد؟ ثم إنها أنهتْ المكالمة قبل أن أقول لها أي شيء. ثم، لماذا أنا؟ وأبويه؟ ما الذي يجمعني بهما؟ بل ما الذي يجمعني به الآن؟ لقد كنَّا جيرانًا وأصدقاءَ في الماضي، وتزاملنا في دراستنا الجامعية، في كلية العلوم، قبل أن أتخصص أنا في علوم الحاسب، ويتخصص هو في علوم الطاقة والبصريات، ثم فرقتنا الحياة، اللّٰهُمَّ إلا من بعض المكالمات التليفونية السريعة، وبعض الزيارات العائلية، كل عدة سنوات. كان حاتم قد عُيّن معيدًا في الكلية، وحصل على الماجستير في زمنٍ قياسي، قبل أن يسافر للحصول على الدكتوراه، من اليابان على ما أذكر. قابلته عندما عاد، ولم يكن قد تغير فيه شيءٌ، فقط، أصبح

يرتدي عوينات، غريبة قليلًا، وسميكة بعض الشيء. كنا قد تقابلنا مع بعض الأصدقاء القدامى في مقهى العيسوي، الذي طالما شهد جلساتنا الشبابية، لنتذكر الأيام الخوالي، ونضحك قليلًا من القلب، قبل أن يواجه كل منا الحياة بمفرده، مرة أخرى. كانتْ هذه الأفكار تدور في رأسي، وأنا أقود سيارتي الصغيرة، آملاً أن أجد لها مكانًا، عندما أصل إلى شارعه. كانتْ الشوارع شبه خالية في ذلك الوقت، وفكرتُ في أن أتوقف عند أحد محلات الشطائر السريعة، لألتهم شطيرتين من الفول والطعمية، وأتناول قهوتي الصباحية في أحد المقاهي القريبة، قبل أن أذهب إليهم، فربما تطول الأمور، ولكنني خجلتُ من نفسي، فصديقي يكاد يجن، أو هو قد فعلها، وأنا لا أفكر سوى في الأكل والشرب. بالقرب من منزلهم، وجدتُ مكانًا جيدًا للسيارة، وبمجرد أن خرجتُ منها، نظرتُ لشرفة شقتهم، فلمحتُ زينب، تروح وتجيء، تنظر في كل الاتجاهات، وكأنها هاجر أم إسماعيل، تبحث عمن ينجدها هي وولدها. رأتني، فأشارتْ لي لأسرع قليلًا. كان باب الشقة مفتوحًا، واستقبلني ابنه الصغير عمر، أو عمرو، لستُ أذكر تمامًا. كان يرتدي منامته، منكوش شعر الرأس، وتبدو عليه آثار الضرب الصباحي المباغت. ربما كان في سن ابني، ثلاثة عشر عامًا، أو أقل قليلًا. سألته عن أخته الصغيرة، ندا، أتذكرها جيِّدا، فقال إنها في غرفتها، تبكي في حرقة، ولا تعرف لماذا تم إيقاظها من النوم، وضربها بهذه القسوة، بلا سبب. دخلتْ زينب، وقد ارتدتْ رداءً منزليًّا فوق ملابس البيت، وغطتْ شعرها كيفما

اتفق، وظهر أثر البكاء المستمر في عينيها الحمراوين. هزتْ رأسها بينَ ترحيبٍ بي، وشكرٍ لحضوري السريع، وتمنيتُ أن تسألني ماذا أشرب، لأطلب قهوتي العزيزة، ولكنها لم تقل شيئًا. طرقتْ الباب على زوجها، وهي تخبره أن صديقه الصدوق قد حضر، وأنه يرغب في رؤيته. لم يأتِنا ردٌ مِنَ الداخل، انتظرنا للحظات، ثم مدتْ زينب يدها في تردد، وأدارتْ المفتاح في ثقب الباب، ودفعتْ الباب ببطء. مدتْ رأسها قليلًا، ثم سحبتها بسرعة، وهي تشير لي بالدخول. كنت أريد أن أسمع منها أولًا، ولكن نظراتها، ولغة جسدها، وحركات يديها ورأسها، كلها كانت تتوسل لي لأن أدخل. وما إن دخلتُ حتى أغلقتْ زينب باب الغرفة بسرعة، وسمعتُ صوت دوران المفتاح في الباب، لتوصده من الخارج. اللعينة.

كان مِنَ الواضح أن هذه هي غرفة عمر، أو عمرو. كان حاتم جالسًا على الأرض، مسندًا ظهره إلى الحائط، ممسكًا عويناته بيديه الاثنين، ومحدقًا فيهما في ذهول. لم يبدُ عليه أنه أحس بي، فاقتربتُ منه ببطءٍ، وأنا ألقي عليه السلام، رفع رأسه إليّ، وهو ينظر لي في دهشة، وكأنه لا يعرف من أنا. وضع عويناته على عينيه، وحدّق فيّ، ثم أشار بيده إشارة غريبة، لم أفهم معناها، وهو يقول لي:

- لقد تغيرتَ كثيرًا منذ آخر مرة رأيتك فيها، منذ عدة شهور، وقتها، كنت تحبني من قلبك، أما الآن، فأنت تخافني كثيرًا. لقد تغيرتْ هالتك. هل ترى؟ وأشار بأصابعه ليرسم خطوطًا وهمية حول وجهي، قبل أن يستطرد:

والألوان، كانت هالتك بيضاء، تتحول إلى وردية، صارت الآن رمادية، وهز رأسه في أسف.

هل أصبح حاتم قارئًا للأفكار؟ على كل حال، فإن كلامه يبدو مرتبًا، عقلانيًّا، ويبدو أن موجة جنونه أو هياجه هذه كانت مؤقتة، وانتهت. كنتُ أريد أن أسأله من هالة هذه؟ ولكنني خشيتُ أن تصيبه نوبة هياج أخرى، وزينب اللعينة قد غلقَتْ الأبواب، وبالتأكيد تسترق السمع الآن. يجب عليّ أن أختار كلماتي بدقة، لكي لا أثير جنون صاحبي القديم. جلستُ بجواره، وأسندتُ ظهري إلى الحائط، وبعد دقائق من الصمت، سألته:

- هل تناولتَ إفطارك يا صديقي؟

نظر لي مبتسمًا وهو يهز رأسه نفيًا، تشجعتُ قليلًا، وسألته:

- هل تحب أن تأتيَ معي، لنتناول إفطارًا شهيًّا، من الفول والطعمية، من مطعم عم فؤاد القريب، كما كنا نفعل ونحن طلبة؟

هز رأسه أن نعم. ناديتُ على زينب لتأتي لنا بملابس مناسبة لحاتم، وعندما فتحتْ الباب، ومدتْ لنا يدها بالملابس، وضعتُ قدمي عند فرجة الباب حتى لا تغلقه مرة أخرى، وتركتُ لصديقي الملابس على الفراش، وأنا أقول له:

- سأنتظرك في غرفة الجلوس يا صديقي، لا تتأخر، ولا تنسَ أن تصفف شعرك.

أغلقتُ الباب، بدون المفتاح، وأنا أشير إلى زينب وإلى الفتى بأن يختفيا الآن. بعد لحظات، خرج حاتم من الغرفة، انتعل حذاءً خفيفًا، وهو ينظر لي متسائلًا، فأمسكتُ بيده، وخرجنا معًا من باب الشقة، الذي ظل مفتوحًا منذ أن حضرتُ. أثناء نزولنا على سلالم المنزل، صادفنا أحد الجيران، صاعدًا إلى شقته، ومعه جريدة الصباح، وبعض الطعام. ألقى على حاتم التحية، فلم يرد صاحبي، ورددتُ أنا بالنيابة عنه، ولاحظتُ نظرات الامتعاض والاستهجان على وجه الجار. في الطريق، سرنا متجاورين، صامتين، حتى وصلنا للمطعم الصغير. اخترتُ مائدةً منعزلة، وطلبتُ لنفسي ولحاتم إفطارًا شرقيًّا، من الفول والطعمية، مع البيض المقلي، والبطاطس المحمرة، والباذنجان، وطبق من المخللات. جاءتْ الطلبات سريعًا مع بعض الأرغفة من الخبز الساخن، وزجاجة من المياه المثلجة. بدأتُ في الأكل ببطء، ثم شاركني حاتم. كان يأكل في البداية في آلية، ثم لم يلبث الطعام الشهي أن جعله يأكل في نهم. هل أفاتحه الآن في موضوع هالة هذه؟ أم أنتظر، ولا أفسد عليه شهيته، حتى ينتهي من طعامه؟ فضلتُ الانتظار، حتى أتينا على الطعام كله. دفعتُ الحساب، ثم خرجنا لنجلس على مقهانا القديم، مقهى العيسوي. طلبتُ لنفسي القهوة، أخيرًا، وطلب حاتم لنفسه كوبًا من الشاي، بدون سكر. وبعد أول رشفتين، بدأ حاتم يتكلم:

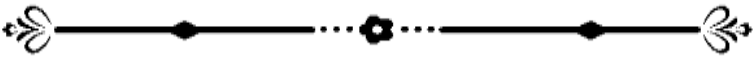

- أعرف أنك تظنني مجنونًا أو ممسوسًا. لا تنكر، لقد رأيتُ هالتك عندما دخلتَ عليّ في غرفة عمرو (اسمه عمرو إذًا)، ولا ألومك على هذا. أنا نفسي بدأتُ أشك في سلامة قواي العقلية، ولا أكتمك، أنني كنت أتردد في الفترة السابقة، على أحد الأطباء النفسيين، قبل أن . . ، ولكن هذا لا يهم الآن، كلهم أوغاد. لقد ظن بي الظنون هو الآخر. قبل أن أقول لك أي شيء، ضع عويناتي هذه على عينيك. لا تعترض، نعم، أعلم أن نظرك سليم، ولكن من فضلك ضعها على عينيك، وانتظر قليلًا، ثم قل لي ماذا ترى؟

وضعت العوينات على عينيّ، كانت الرؤية مشوشة قليلًا، وضبابية، ربما لأنني لم أعتد على لبس العوينات، ثم بدأت الرؤية تتضح شيئًا فشيئًا. كان هناك ما يشبه الدخان الأبيض الخفيف يحيط بالأشخاص. لا، ليس أبيض، إنه درجات بين الأبيض والأسود. كانت هذه السحابة الدخانية الخفيفة تأخذ شكل دائرة، تتركز حول منطقة الوجه والرأس. خلعتُ العوينات، ونظرتُ للأشخاص مِنْ حولي، لا يوجد أي شيء حول رءوسهم. مسحتُ زجاج العوينات بمنديلٍ ورقيٍّ، ثم وضعتها على عيني ثانيةً. عاد الضباب مرة أخرى، بدأت الصورة تصفو وتتضح تدريجيًّا، هذا الشيخ الفاني الذي يجلس في ركن المقهى نفسه منذ أن كنا شبابًا، يقرأ نفس الجريدة، وأمامه كوبٌ من الشاي الممزوج بالحليب. هل كان اسمه عم طه؟ هالته بيضاء ناصعة، دائرية تقريبًا، وذات قطر كبير، نسبيًا، تشبه دائرة النور التي كان يرسمها رسامو القرون الوسطى حول وجوه المسيح والعذراء والقديسين.

هالة! نعم، كانوا يسمونها هالة، طاقة نور، كانت تمتد لحوالي عشرين سنتيمترًا، وربما أكثر. ها هو ذا حمامة، صبي المقهى، الغبي قليلًا، تحيط به هالة صغيرة، رمادية قليلًا، ولا تحيط بكامل رأسه. أما عم عيسوي العجوز، صاحب المقهى ومديره، فيبدو متصالحًا مع نفسه، راضيًا عنها، وهو يأخذ نفسًا عميقًا من نرجيلته الصباحية، ذات الرائحة المميزة. كانت هالته ذات لون أخضر فاتح، بيضاوية الشكل، وتتداخل معها سحب الدخان التي كان يرسلها في الهواء. مرت من أمامي قطة صغيرة، رافعة ذيلها في توتر، ما هذا؟ حتى القطة، كانت تحيط بها هالة صغيرة جدًا، غير منتظمة الشكل، مائلة إلى الصفرة. التفتُّ إلى صديقي حاتم، كانتْ هالته ذات لونٍ بني داكن، دائرته غير منتظمة، متعرجة الحدود. ما معنى هذا؟ وما دور العوينات في هذه الرؤية؟ خلعتُ العوينات مرة ثانية وأنا أتأملها، لم يكن فيها شيء غريب، فقط سميكة قليلًا، أكثر من المعتاد، وتوجد بعض الرءوس المعدنية منغرسة في إطارها الخارجي. تناول حاتم مني العوينات وهو يبتسم ابتسامة حزينة، وسألني: هل فهمتَ الآن؟ هززتُ رأسي أن لا. ارتشف آخر قطرات في كوب الشاي، واعتدل في جلسته ليواجهني قائلًا:

- أنت تعلم أنني بعد حصولي على الماجستير، أوفدتني الجامعة في بعثة إلى الصين لاستكمال دراستي في مجال تخصصي الدقيق، الضوء، والبصريات، والموجات الكهرومغناطيسية. هناك، سمعتُ لأول مرة عن الأورا **Aura** أو الهالة. إنها مفهوم منتشر في الثقافة الشرقية، في الصين والهند واليابان،

وخلاصته أن كل كائن حي تحيط به هالة أثيرية، غير مادية، تتكون من موجات أو ذبذبات من الطاقة، قد تكون طاقة نفسية، أو طاقة روحية، أو حتى طاقة مادية كالتي نعرفها، ولكنها غير مرئية بالنسبة لنا. يزعم بعض الأشخاص الذين قابلتهم هناك أنهم قادرون على رؤية هذه الهالة بالعين المجردة، وفي أحيان أخرى يغمضون أعينهم، ويقومون بعملية تأمل، يمزجون فيها بين الاسترخاء والتركيز، فيرون بعين الخيال، هالات من حولهم. يقولون إن الأطفال، الأبرياء منهم، لديهم قدرة فطرية على رؤية هالات الآخرين، وقد تؤثر الهالات السلبية عليهم أو تؤذيهم، فنجدهم ينفرون من أشخاص معينين، بلا سبب ظاهري. وقد يحدث العكس، فنراهم ينجذبون لأشخاص آخرين، بدون سببٍ، أيضًا. يحدث هذا أيضًا مع الكبار. ولا تنسَ أن هناك حديثًا نبويًّا عن الأرواح المتآلفة التي تنجذب لبعضها البعض، وأن هناك أرواحًا أخرى تختلف عن بعضها البعض، فتتنافر. ربما يسميه الكبار الحدس، أو البصيرة، أو الإلهام الداخلي، أو أي شعور آخر لا يمكن تفسيره علميًّا، حتى قررتُ أنا، رجل العلم، أن أدرس هذه الظاهرة. لقد قرأتُ تقريبًا كل ما كتب عنها من . . فلنقل دراسات، فالكثير من أهل العلم لا يعتبرون هذا الكلام علمًا بالمعنى المعروف، بل هو شيء أقرب عندهم للخرافات والدجل والشعوذة، ويطلقون على هذه الدراسات العلم الكاذب أو الزائف **pseudo-science**. المهم، أنني توصلتُ إلى أن لكل إنسان ذبذبته أو فلنقل هالته الخاصة، مثل بصمات

الأصابع، لا توجد هالتان متشابهتان، في الشكل واللون، والقوة أو درجة تركيز الطاقة، وتتغير هذه الهالة كلما تغيرت حالة الإنسان النفسية والروحية والمزاجية، عندما تكون سعيدًا، وفي حالة جيدة، تكون هالتك أكثر وضوحًا، وألوانها ناصعة، وشكلها تام الاستدارة، يمكنني أن أقول ساعتها إن هذا الشخص متناغم مع نفسه، ومع من حوله، وما حوله. أما إذا كانت هالتك ضعيفة، باهتة الألوان، وأشكالها غير منتظمة، ففي هذه الحالة، فأنت تعاني يا صديقي. يزعم بعض من قابلتهم من المتخصصين في هذا المجال أنهم يستطيعون مساعدة الآخرين على تقوية هالاتهم. ينصحونهم بالاقتراب من الأشخاص ذوي الطاقة الإيجابية، المتفائلين، البشوشين، لمس الحيوانات الأليفة يقوي طاقتك، الاندماج مع الطبيعة، الجلوس في الحدائق، الخروج إلى الهواء الطلق. في البحر، تجتمع العناصر الأساسية للطاقة الحيوية، الأرض، والشمس، والهواء، والماء. الاستحمام ينظف هالتك الحيوية. لقد أوصانا الرسول الكريم بالوضوء إذا غضبنا، حتى نهدأ. كل هذه الأفكار كانت تشغل بالي وأنا أعمل كالمجنون على محورين: المحور الأول هو دراستي الأكاديمية حتى أحصل على الدرجة العلمية، والمحور الثاني هو كيف أخضع هذه الظواهر غير المادية للعلم. أنت تعلم أن الغربيين يقولون إن كل ما هو غير مرئي، غير ملموس، غير محسوس، غير مشموم، هو ببساطة، غير موجود. كنت أريد أن أقيس هذه الهالة، أن أصورها، بالمناسبة، فقد حاول البعض تصويرها، ولكن بدون نجاح كبير، والأهم، أن

أفسرها. بدأتُ أبحاثي الخاصة في الصين، واستكملتها بعد عودتي إلى مصر، وكانت ثمرة هذه الأبحاث المضنية هو هذه العوينات. لا تتعجب هكذا، إنها عبارة عن عدسات، مجهزة لرؤية الموجات الكهرومغناطيسية، بحيث تستطيع أن ترى هالات الأشخاص من حولك، وببعض الخبرة، ستعرف أن اللون الأحمر يدل على الغضب، الأصفر للكآبة، الأبيض للأشخاص الروحانيين المتصالحين مع أنفسهم، الأزرق للأشخاص العاطفيين المحبين، الأخضر للأشخاص المتفائلين، الأسود للأشخاص الذين يكرهون أنفسهم ويكرهون الدنيا ويكرهونك، بلا سبب، وهكذا.

- ولكن، لماذا أخبرتَ زينب أن لا أحد يحبك سوى أبويك، ثم أنا؟

- هل تذكر يا صديقي جلستنا ها هنا، في نفس هذا المقهى، منذ عدة شهور؟ كنتُ أنا قد انتهيت من صنع هذه العوينات، بعد حسابات دقيقة، لحساب البعد البؤري لها، والمسافة التي يجب أن تكون بينك وبين الشخص الذي تريد أن ترى هالته، وزودتها بمستقطبات ضوئية، هل ترى؟ إنها هذه الرءوس المعدنية الصغيرة المنغرسة على جانبي الإطار. من بين مجموعة الأصدقاء القدامى، كنتَ أنتَ الوحيد الذي كانتْ هالته بيضاء، صافية. الباقون كانوا يتظاهرون بالود فقط، هالاتهم كانتْ مرعبة، كانت مليئة بمشاعر سلبية، حقد، حسد، . .

- إنك تخلط يا صديقي بين قدرتك على رؤية الهالة أو رصدها، وبين تفسيرك الشخصي لما يعنيه لونها أو حجمها. كيف تعرف أن هناك شخصًا يحسدك أو يكرهك، بمجرد رؤيتك لهالته؟

- ستجد جزءً من هالته قد استطال، وامتد إليك ليخترق هالتك. أنتَ تكلم خبيرًا يا صاحبي، لقد أجريتُ مئات التجارب على أناس، لا يعرفون أصلًا أنني أختبرهم. بالمناسبة، ما هو الحسد؟ لا أريد المعنى الديني، ولكن المفهوم العلمي. الغربيون لا يعترفون كثيرًا بهذا المفهوم، ربما يعتبرونه غيرة، ولكن الحسد مفهوم متأصل في ثقافتنا الشرقية والإسلامية، بل وربما منذ أيام المصريين القدماء. هل هي صدفة أن تستمر ثقافة الخرزة الزرقاء، وحدوة الحصان، وخمسة وخميسة، وغيرها، آلاف السنين؟ حسنًا، ماذا يقول العلم الذي لا يريدون الاعتراف به؟ إنه يقول إن الحسد أو الكراهية هي طاقة سلبية هائلة، موجات قوية، تخترق هالتك، وتحاول تدميرها، هذا ما رأيته في عيون أصحابنا القدامى، ما عداك. لقد كشفتْ لي هذه العوينات حقائق البشر من حولي، لا أحد يريدك أن تنجح، الكل يريدك فاشلًا، ما عدا أبويك، والأنقياء من البشر.هل تعرف قصة الصحابي الذي قال عنه الرسول الكريم إنه من أهل الجنة، لم يكن هذا الصحابي يكثر من الصلاة أو الصيام أو الصدقة، ولكنه كان يبيتُ وليس في قلبه حسد أو غل لأحد من الناس، وهي التي قال عنها الصحابي الآخر، راوي الحديث، أنه لا يقدر على فعلها. الغل طاقة. الحسد طاقة. الكراهية طاقة.

ولكنها طاقات سلبية، تحاول أن تنقض على هالتك النقية، المنتظمة، المتناغمة، لتدمرها.

- اسمح لي يا حاتم، هذا الكلام ليس علميًّا تمامًا، ومحاولتك لإضفاء صبغة دينية عليه هو أمر في منتهى الخطورة.

- هل تدري يا صاحبي أنهم في الغرب، يطورون نوعًا من الأسلحة الحربية الدفاعية، يسمونها دروع الطاقة، عبارة عن مجال كهرومغناطيسي يحيط بجسمك، ويشتت كل أنواع الطاقة التي تحاول إيذاء جسمك الفيزيائي. لقد خلق الله سبحانه وتعالى للكائنات الحية هذا الغلاف الواقي، البعض يسمونه الجسم الأثيري، فهو كما قلت لك غير مرئي، ولكن الحضارة المادية أنكرت وجوده، كما أنكرت، في أوقات كثيرة، وجود الله نفسه، وكما يقولون هم أنفسهم، فإن العضو الذي لا يستخدم، يضمر. وتكفلت الأجهزة الالكترونية الحديثة التي تحيط بنا من كل جانب بالقضاء على ما تبقى من جسمنا الأثيري. إن الحيوانات ما زالت تحتفظ بمجالها الأثيري، يسميه العلماء حدس، أو فطرة، ولكنه في النهاية، الانسجام مع الطبيعة الأم. بعض الحيوانات تتنبأ بالزلازل، إنها تجيد استقبال الذبذبات والإشارات التي ترسلها لهم الأرض، أما نحن . .

- ولكن، إن عويناتك نفسها جهاز اليكتروني، إنها ليست طبيعية.

- هذا لأنني أنا أيضًا ابتعدت عن الطبيعة. الأشخاص الروحانيون فقط، والأطفال الأبرياء، هم من يستطيعون رؤية الهالات. عندما كنا صغارًا، كنا

نصلي في مسجد المواساة، هل تتذكره؟ لقد كنا جيرانًا، وكنا كثيرًا ما نذهب إلى هناك، معًا. أتذكر أنني رأيت شيخنا، كان اسمه الشيخ عامر، في ليالي رمضان الأخيرة، تشع من وجهه أنوار الإيمان. لم أكن أعرف وقتها أن هذه هي الهالة، وكنت وقتها نقيًّا، بصورة ما، أما الآن، فيجب أن أستعين بالعوينات.

- لماذا؟ ما الذي ستستفيده من معرفة هالات الآخرين؟

- لا شيء. إنه النهم الأحمق إلى المعرفة. معرفة ما حجبه الله عنا، ونُصِرُّ نحن، برغم ذلك، على معرفته. بالمناسبة، هذه العوينات ليستْ النسخة الأولى. بعد أن رأيت هالاتْ زوجتي وأبنائي، وجيراني في المنزل، وزملائي في العمل، وأصدقاء الجامعة القدامى، وأقاربي، كدت أن أجن. لم أكن أنام، تقريبًا، وزهدتُ في الحياة كلها وسط هؤلاء الناس. حتى أنا، كانت هالتي مشوهة بشكل مخيف. لقد كرهتُ نفسي، وكدتُ أُقْدِمُ على الانتحار، لولا بقايا من إيمانٍ قديم. حطمتُ العوينات، وذهبتُ لأحد الأطباء النفسيين، ولكنه لم يصدقني. كتب لي مجموعة من مضادات الاكتئاب، وشخَّصَ حالتي بعبارة منمقة باللاتينية من ثلاثة مقاطع فخمة. في لحظة يأس، كدتُ أن أقتله، ثم أنتحر، ولكنني تراجعتْ في آخر لحظة. أن تقرأ عن العالم المليء بالأوغاد شيءٌ، وأن ترى بنفسك، هؤلاء الأوغاد، فذلك أمرٌ آخر. بعد فترة، غلبني فضولي العلمي، وصنعت نسخة أخرى من العوينات، من زجاج مضاد للكسر، هذه المرة.

في هذه اللحظات، انطلق أذان الجمعة من المسجد القريب. نظرت لصديقي، فأومأ موافقًا، ذهبنا للوضوء في الميضأة الملحقة بالمسجد، نصحني حاتم مبتسمًا في مرارة بأن أسبغَ الوضوء. كان المسجد قد قارب على الامتلاء، وطلب حاتم مني أن نصلي في الخارج، حيث الهواء الطلق، والشمس، بل ورفض أن يجلس على الحصير المفروش خارج المسجد، وجلس على الأرض العشبية، حافيًا، وهو يقول لي هامسًا، إن رسولنا الكريم كان يُرَغبُ الصحابة في أن يحتفوا، من آنٍ لآخر. قال لي إن الأرض أو التربة تحتوي على مخزن لا ينضب من الطاقة الإيجابية الهائلة، وأنه يشعر براحة هائلة عندما يسجد على الأرض، وأنه يشعر، حقيقةً لا مجازًا، بأن كل طاقته السلبية تتسرب منه إلى الأرض، عندما يسجد. كان قد وضع عويناته في جيب قميصه، وجلستُ بجانبه نستمع إلى خطبة الجمعة، والتي لم أفقه منها كلمة واحدة. شردتُ بأفكاري مع حاتم وعويناته وهالاته، ومع زينب، ماذا رأى منها حاتم حتى يضربها؟ والأولاد؟ هل أصابتْ صديقي القديم لوثة؟ كان حاتم متماسكًا جدًا وهو يتحدث، ثم إنني رأيتُ بنفسي، عم عيسوي، وعم طه، وحمامة، والقط، وحاتم نفسه. هل أطلب من حاتم أن يعيرني عويناته لعدة أيام؟ كيف سأرى زوجتي وأبنائي، أنا الآخر؟ وماذا عن الأهل والجيران وزملاء العمل والأصدقاء؟ لا، لا أريد هالات ولا خيالات، أفقتُ لنفسي وخطيب المنبر يختتم خطبته قائلًا: "يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياءَ إن تُبْدَ لكم تسؤكم".

الكلاب تحكم المدينة

صحوتُ من نومي مفزوعًا على صوت جرس الباب المزعج، لم تكن دقةً واحدة، بل عدة ضربات هستيرية متتالية، تصاحبها خبطات بالأيدي والأرجل، على باب الشقة الخشبي، وكأن الواقف بالباب تطارده كل شياطين الدنيا. كانتْ ساعة الحائط المواجهة لي تشير إلى السابعة صباحًا، فقمتُ مسرعًا لفتح الباب، ففوجئتُ بابنتي الصغيرة، حنين، ذات الأعوام العشرة، ترمي حقيبتها المدرسية على الأرض، وترتمي في صدري، وهي تهذي بين دموعها، بكلماتٍ متقطعة، عن الكلب المتربص لها بمدخل العمارة، وعن حافلة المدرسة التي رأتها وهي تتحرك بدونها، بعد أن حاولتْ أن تنادي المشرفة لتأخذها، بلا جدوى. هدأتُ من روعها، وحاولت أن أستفهم منها عما حدث. دفعتني بيديها الاثنتين إلى غرفة النوم، وهي ترجوني أن أرتديَ ملابسي بسرعة، وأن أنزل معها لكي أبعد هذا الكلب المخيف، وأيضًا لكي أوصلها إلى المدرسة. لم يفلح الجرس المزعج، ولا توسلات حنين المتهانفة، في أن توقظ زوجتي النائمة. ما أجمله من صباح! حمامٌ سريع، ملابسُ الأمس المعلقة على المشجب، فردتا جوربين غير متطابقين، انتعال الحذاء الخفيف في المصعد، وحنين تمسك حقيبتها بيد، وباليد الأخرى تتعلق بملابسي. عند مدخل العمارة من الخارج، كان يقف كلبٌ هزيل، أجرب، وكان جارنا،

الأستاذ وليد، ببذلته الرمادية الأنيقة، وربطة عنقه، وحذائه الجلدي، يحاول يائسًا أن يبعد الكلب، بلا جدوى. كان حارس الأمن قد انضم لوليد في محاولاته، وأخذ يلوح للكلب بيده، موهمًا إياه بأنه سيقذفه ببعض الحجارة، والكلب ينظر له هازئًا، ومتحديًّا. انضممتُ لهما، وأمسكتُ بعصا غليظة كانتْ ملقاةً على الأرض، بجوار الباب، وحاولتُ أنْ أبعد بها الكلب. راوغني الكلب بمهارة، ثم فجأة، وثب على العصا، وقبض عليها بأسنانه، وهو يحاول انتزاعها مني. وسرعان ما انضم إليه كلبٌ آخر من الناحية المقابلة، وقد أحس فيما يبدو بضرورة دعم زميله، في مواجهة الأشرار الثلاثة، أو الأربعة، إذا اعتبرنا حنين. اقترب الكلب الثاني مني، وهو ينبح في قوة، محاولًا جذبي من سروالي، وأنا أحاول ركله بقدمي، بلا فائدة. أحسستُ بيد حنين ترتعش في يدي، وهي تزداد تمسكًا بملابسي، وتعيقني بشكلٍ ما عن المواجهة. تراجع وليد للداخل، وأخرج هاتفه المحمول، ضرب عدة أزرار، وانتظر الرد. كان صوت وليد مرتفعًا، وهو يتهم المتحدث على الطرف الآخر بعدم المبالاة، والتراخي في أداء واجباتهم، ثم أنهى المكالمة متوعدًا. نظر في ساعته، ثم انتزع مني العصا في قوة، وقد قرر فك الحصار الثنائي بمفرده. أطلق سبة موجهة للكلاب، ولوح بالعصا في حركة شبه دائرية، وانقض بها فجأة على رأس الكلب الأول. سقط الكلب أرضًا، بينما انقض الكلب الثاني بفكه على قدم وليد، وتمكن منها، وعقرها. أطلق وليد صرخةً مدوية قبل أن يلتفتْ إلى الكلب الثاني، ويحاول أن يلحقه بصاحبه، إلا أن ضربته

طاشتْ في هذه المرة. التفتْ وليد لي ولحارس الأمن صارخًا فينا لأننا لم نقم بحماية ظهره أثناء انشغاله مع الكلب الأول. تركتْ حنين يدي، وانطلقتْ جاريةً باتجاه المصعد، وقد قررتْ اللجوء إلى شقتنا الحصينة. كان الكلب الثاني قد ابتعد قليلًا، وأصبح الطريق إلى الخارج مفتوحًا. تذكرتُ تعليمات الإسعافات الأولية، وطلبتُ من وليد أن يصعد إلى شقته، وأن يطهر الجرح بالماء والصابون، وأن يترك الماء مفتوحًا على الجرح لعدة دقائق، ثم يذهب إلى إحدى المستشفيات العامة، فقد يكون هذا الكلب مسعورًا. تجاهل وليد كلامي، وطلب مني أن أقوم بتوصيله بسيارتي إلى المستشفى، وقبض بأصابع يده على ساعدي وهو يستند عليّ، وهو يعرج في مشيته. كانتْ الطرقات خاليةً نسبيًّا في هذا الوقت من الصباح الباكر، ووصلنا إلى المستشفى بعد دقائق. هناك، وجدنا عددًا كبيرًا من الحالات المشابهة، وبعض أفراد التمريض يحاولون تطهير الجروح، لحين حضور الأطباء، وحقن المصابين بالمصل المضاد. كان معظم المصابين من الرجال المتأنقين، الذين كانوا متعجلين للذهاب إلى أعمالهم، أما الآن، فهم يوزعون لعناتهم وشتائمهم على مسئولي البلدية، الذين يتركون هذه الكائنات المتوحشة تعيث فسادًا في الأحياء الراقية، وعلى مسئولي المستشفى، لعدم كفاية أماكن الاستقبال، وعلى الأطباء، الذين لم يحضروا بعد، وعلى الممرضات السمينات، اللاتي مازلن يفركن أثر النوم من وجوههن. كانتْ بعض الحالات لأطفالٍ صغار، يرتدون

زي تلاميذ المدارس، ويبكون. كانت هناك بنت صغيرة، تحمل حقيبتها على ظهرها، وتعقص شعرها في ضفيرتين، مثل حنين.

كان الجميع يتحدث في نفس الوقت عما أصاب كلاب المدينة. تحدث أحدهم عن الكلب الأسود الذي هاجمهم، وأن عينيه كانتا بلون الدم، وأنه لا يشك في أن جنيّا خبيثًا كان يتلبسه في تلك اللحظة. تحدث آخر عن شخصٍ غريب الهيئة والملامح، يشبه السحرة والحواة والغجر، يقف في الظل، ويسيطر على الكلاب، ويوجههم. تحسر ثالثٌ على أيام أن كانت فرق التطهير تقوم بقتل الكلاب الضالة بعد الفجر، بالخرطوش. أخيرًا، وصلتْ طبيبةٌ، ثم طبيب، ثم ثالث، وبدأوا في حقن المصابين بالمصل المضاد. أعطى الأطباء للمصابين جدولًا بمواعيد الجرعات التالية، وشددوا عليهم بضرورة التغيير على الجرح يوميًّا.

عندما خرجنا، لم تكن هناك كلاب عند أبواب المستشفى، على غير العادة. طلب مني الأستاذ وليد أن أعيده إلى المنزل، فهو لن يذهب إلى عمله اليوم بأحد البنوك الاستثمارية، وهو في هذه الحالة. عندما وصلنا، وجدنا الكلب الصريع ملقًى في مكانه، ولم يجرؤ أحد على إزاحته، أما الكلب الذي عقر الأستاذ وليد، أو ربما كلب آخر يشبهه، فكان على مقربة من مدخل العمارة، يأكل في صمت، ولا ينظر إلينا. كان عدد كبير من الكلاب، غير المتجانسة، يتوزعون على مداخل العمارات المجاورة،، بعضهم يأكل،

وبعضهم يغط في النوم، والبعض صرعى من آثار معارك دامية. وفي النهاية، دخلنا العمارة بدون مشاكل.

عندما دخلتُ إلى الشقة، كانتْ زوجتي قد استيقظتْ من النوم، وبدأت في أداء أعمالها المنزلية المعتادة، تحضير الطعام، غسيل الملابس، ترتيب البيت، وزاد عليها اليوم، تأنيب حنين على عدم ذهابها إلى المدرسة، ومطالبتها بالكف عن الكذب، وعن اختلاق القصص الخيالية. عندما رأتني زوجتي في هذا الموعد، نظرتْ لي في عدم فهم، بينما حنين تستنجد بي لإثبات صدق روايتها. في دقائق، حكيتُ لزوجتي ما حدث، وطلبتُ منها أنْ تُعد لي كوبًا من القهوة السوداء، ريثما أحاول التواصل مع زملاء العمل، وأقرأ سيل الرسائل الواردة على هاتفي المحمول.

الأخبار الواردة كلها تُجمع على أنَّ الإصابات قد حدثتْ في الأحياء الراقية فقط. يقول ظرفاء الفيسبوك، وفلاسفة تويتر، وحكماء الواتس، أنَّ كلاب الأحياء الفقيرة لم تَعُدْ تجد ما تأكله، وأنها اتجهتْ، في نزوح جماعي، إلى الأحياء الغنية القريبة منها، وأنها تمارس نوعًا من الحصار على سكان هذه المناطق، وتتركهم يمرون، فقط، إذا أطعموهم. أظهرتْ الرسائل، والصور، ومقاطع الفيديو، التي يتم تداولها بين سكان المدينة، بأن الكلاب لم تقبل بأي طعام، فقد عافتْ الخبز والفول وباقي البقوليات، وانقضتْ على اللحوم و الدجاج. تقول جارتنا الآنسة سوسن، والتي تسكن في الدور الرابع مع والدتها العجوز، أنها قد قدمتْ لهم وجبة ساخنة من اللحم المفري، وأنهم

نظروا لها في امتنان، بل وقاموا بحراستها حتى ركبتْ السيارة التي تقلها إلى العمل، وسط دهشة زملائها، وحارس الأمن. أظهرتْ الفيديوهات المتداولة أنَّ عصابات الكلاب هذه منظمةٌ بشكل جيد، وأن كل بناية يقف أمامها كلب واحد على الأقل، وما إن يأكل، حتى ينتحي جانبًا وينام، ثم يصحو بعد صلاة الظهيرة، فيقف أمام مدخل العمارة، حتى يحصل على وجبة أخرى، يأكل جزءً منها، ويحمل الباقي معه وينصرف. بعض مقاطع الفيديو وثَّقتْ هجوم بعض الكلاب على من حاول فك الحصار بالقوة، كجارنا المسكين وليد، وبحلول العصر، اختفت معظم الكلاب من الشوارع، ولم يعرف أحد من أين جاءتْ، ولا أين ذهبتْ.

في وسائل الإعلام، كان هناك نفيٌ رسمي لما حدث، وأعلنتْ البلدية أنها لن تضيع وقتها في الرد على مثل هذه الشائعات المغرضة، كما أن أجهزتها التنفيذية لن تنساق إلى بعض البلاغات عن تواجد بعض الكلاب الضالة بأعداد أكبر من المعتادة، في بعض المناطق المحدودة. مديرية الصحة أعلنتْ توافر الأمصال بكافة مستشفياتها العامة، على مدار الساعة، كما أعلنتْ عن الإسعافات الأولية في حالة أن عقر أي حيوان، أي مواطن، كما أعلنتْ عن رقم ساخن للاتصال في حالات الطوارئ. اتصلتُ بأحد أصدقائي من الأطباء في إحدى المستشفيات العامة، فأخبرني بأن الوضع متدهور للغاية فيما يخص توافر الأمصال، وأن الأمصال الموجودة بالمستشفيات معظمها قد انتهت صلاحيته، وأن الأمصال الصالحة منها قد

شارفت على النفاد، وأنه فشل في الحصول على جرعات إضافية من المستشفيات الأخرى.

في المساء، تناسى الجميع ما حدث، وانشغلتُ بمتابعة مباراة كرة القدم لفريقي المفضل، بينما قامتْ زوجتي باستكمال واجباتها المنزلية التي لا تنتهي، ثم كافأتْ نفسها بوجبة دسمة بينما تتابع حلقة معادة من مسلسلها التركي.

في اليوم التالي، أيقظتني حنين في السادسة والنصف صباحًا، طلبتْ مني أنْ أنزل معها، حتى تركب حافلتها المدرسية. قالتْ لي بأن الكوابيس كانت تهاجمها طوال الليل، وهي تتخيل نفسها تجري في الشارع، وعلى ظهرها حقيبتها المدرسية، ويجري وراءها الكلب الصريع، وقد عاد للحياة لينتقم منها. طمأنتها، وأخبرتها أنْ تُعِدَّ حقيبتها ريثما أجهز نفسي. وأنا أرتدي ملابسي، كنتُ أتساءل، هل عادتْ الكلاب مرة أخرى؟ هل مازال الكلب الصريع من الأمس ملقًى بجوار مدخل العمارة؟ هل ما زالتْ العصا الغليظة موجودة؟ وهل كانت العصا ذات نفع للأستاذ وليد؟ هل آخذ معي طعامًا للكلاب؟ في المطبخ، وجدتُ بعض أجنحة وأرجل الدجاجة التي أعدتها زوجتي لغذاء اليوم، وضعتها في كيس، وأحكمتُ إغلاقه، ونزلتُ مع حنين. في المصعد، تلوتُ بعض الأدعية القرآنية والمعوذتين، وعندما انفتح الباب، وحاولتُ أنْ أمسك بيد صغيرتي، فوجئت بها تختبئ ورائي، وهي تمسك ملابسي بيديها الصغيرتين. كان الحارس الليلي نائمًا على كرسيه،

وقد أغلق باب العمارة من الداخل، ولم يأتِ الحارس النهاري بعد. لم يكن كلاهما سوى فزاعة، يرتدي زي الأمن، ولا يفعل شيئًا حقيقيًّا. ناديتُ عليه حتى أفاق مفزوعًا، ولما رآني، هبَّ واقفًا على قدميه وهو يعدل من وضعية غطاء الرأس، ويؤدي لي تحية شبه عسكرية. طلبتُ منه أن يفتح باب العمارة، وأن ينتبه لوجود أي كلاب. فتح الباب ببطء، فجاءنا صوت النباح القوي من الخارج، يشق سكون الصباح الباكر، فسارع الحارس بإغلاق الباب مرة أخرى، وهو يهز رأسه لي. ناولته أجزاء الدجاج، وطلبتُ منه أن يقدمها للكلب بالخارج، تشمم الكلب الطعام، ويبدو أنه أعجبه، ثم تنحى مبتعدًا عن مدخل العمارة، وهو يأكل طعامه ببطء. في تلك اللحظات، وصل الحارس النهاري، وفي نفس الوقت، وصلتْ الحافلة المدرسية. فتح الحارس الليلي الباب بحرصٍ شديد، وهو يركز بصره على الكلب. أمسكتُ بيد حنين، وجعلتُ من جسمي حائلًا بينها وبين الكلب. عدة خطوات حذرة حتى وصلنا لباب الحافلة، ولم تترك حنين يدي إلا بعد أن أمسكتْ بيدها الأخرى يد المشرفة. منحتها ابتسامة مشجعة ولوحت لها بيدي حتى اختفت الحافلة من أمامي. كان الوقت مازال مبكرًا بالنسبة لي على الذهاب إلى عملي، فكرت في الصعود مرة أخرى، والنزول في موعدي المعتاد، ولكن، من يدري؟ ركبتُ سيارتي، وقد قررتُ أن أجوّل قليلًا في شوارع المدينة شبه النائمة. الكلاب منتشرة في كل مكان، لا يوجد بينها كلبٌ أسود، ولا أبيض. كلاب رمادية، وصفراء، وبنيّة، يغلب على أكثرها الهزال، وعيونها

خابية، منطفئة. بعضها يمشي في تكاسل، وبعضها يعرج في مشيته، ربما من آثار معارك الأمس. البعض يتثاءب، والبعض ينتظر زبونه الأول، في صمت. قدتُ سيارتي لأحد مطاعم الشطائر الشهيرة في المنطقة، يقف أمامه عدد من الكلاب، ويبدو أن المالك قد قام برشوتها، فهي لا تتعرض لزبائن المحل بسوء، اشتريتُ بعض الشطائر، وتوجهت للعمل.

في العمل، لم يكن للزملاء حديثٌ إلا عن غزو الكلاب. وانقضى اليوم بدون عمل حقيقي، فقط، كل منا يروي مغامرات الأمس، وصباح اليوم، ويحاول أن يضفي أكبر قدر من الإثارة والرعب على حكايته. كيف تعرض للخطر، وكيف أظهر شجاعته الخارقة. الوحيد الذي لم يتكلم كان عم جمعة، ساعي المكتب. وعندما سألته:

- وأنت يا عم جمعة، ألن تروي لنا شيئًا من مغامراتك مع الكلاب؟

- الحمد لله، لم يَعُدْ هناك كلابٌ في منطقتنا.

- وأين ذهبت يا عم جمعة؟

- لستُ أدري. المهم ألا ترجع ثانيةً.

عندما عدتُ إلى المنزل، كانتْ الكلاب قد ذهبتْ إلى حال سبيلها. قضيتُ وقتًا أطولَ أتابع وسائل التواصل الاجتماعي. بعض الشباب قرروا تتبع مسار الكلاب عند انصرافهم، كان كلاب كل شارع يتجمعون في مجموعات صغيرة، خمس أو ست كلاب، بعد وجبة الظهيرة، ثم يأخذون طريقهم إلى أطراف الحي، معظمهم يستوطنون أسفل الكباري، حيث

يعطون بواقي الوجبات لباقي الكلاب. بعضهم يفضل التجمع في الأراضي الخالية، حيث الرمال والظل. لا يفعلون شيئًا تقريبًا، ينامون معظم الوقت، بعضهم يلعب مع الجراء الصغيرة، وبعضهم يدور حول المكان، على سبيل الحراسة. يبدأون تحركهم الصباحي مع الشروق، كل مجموعة تعرف وجهتها جيدًا، بدون تداخل ولا صراعات.

في اليوم الثالث لهذه الظاهرة، طلبتُ من حنين ألا تنزل مبكرةً، على أن أقوم بتوصيلها لمدرستها بسيارتي. تبادلتُ بعض الكلمات مع الحارس النهاري، وسألته هل هناك أي أحداث ذات بال؟ قال إن المستشار وحيد قد اتصل بالشرطة، وأخبرهم أنه لا يستطيع الخروج من العمارة للذهاب إلى المحكمة، وأن قسم الشرطة القريب قد أرسل سيارة بها عدد من الجنود المسلحين، قامت بحراسة المستشار حتى خرج من العمارة، وركب سيارته، وأن الكلب الموكل بالعمارة قد ابتعد قليلًا، وذهب إلى صاحبه الذي يرابط أمام العمارة المجاورة، ثم بعد انصرافهم، عاد لعمارتنا. سألته عمن أطعم الكلب اليوم من سكان العمارة؟ فأجاب بأن السيدة فوزية، والتي تسكن في الدور الأول، قد أرسلتْ للكلب، مع ابنها محمود، بعض أصابع الكفتة، وأنَّ الكلب تشممها، ويبدو أنها لم تعجبه، فقد رفض أكلها، وزام مرتين على محمود الصغير، والذي لم يستطع الخروج، ثم جاءتْ الآنسة سوسن، فسمح لها الكلب بالخروج، بدون أن تطعمه. قال إن الأستاذ عادل، رئيس اتحاد الشاغلين، قد قرر أن تتولى الشقق إطعام الكلب

بالتناوب، وقد أعد جدولًا لذلك، وقام بتعليقه على لوحة إعلانات العمارة، كما قام برفعه على جروب الواتس الخاص بالعمارة، وبدأ هو بنفسه في إطعام الكلب اليوم. اقترب الحارس مني، وهو يهمس لي بأن الأستاذ عادل ارتدى قفازًا، ووضع الطعام للكلب، وعندما حاول التربيت على رأسه، كاد الكلب أن يعقره، لولا أن سحب يده في اللحظة الأخيرة. تذكرتُ الأستاذ وليد، وقررتُ الاتصال به، بعد أن أقوم بتوصيل حنين.

كان صوت وليد غاضبًا في الهاتف، واتهمنا جميعًا، نحن جيرانه، بأننا لم نسأل عليه، وترحم على جيران الزمن الجميل، ثم أخبرني في لهجة آمرة بأنه ينتظرني اليوم لأقوم بتوصيله إلى المستشفى، ليتلقى الجرعة الثانية من المصل. اعتذرتُ له لارتباطي بالعمل اليوم، فارتفع صوته لائمًا، ومذكرًا إياي بأنه أصيب وهو يدافع عني، وعن ابنتي، وأن هذا هو مصير مَنْ يمد يد العون للآخرين، ثم عندما يقع، لا يجد من يساعده، ثم أنهى المكالمة وهو يصرخ بأن حسبه الله ونعم الوكيل.

بعد قضاء ساعتين في الشركة، اكتشفت أنني لا أستطيع التركيز في العمل، فحصلت على إذن بالانصراف مبكرًا، واتصلت بوليد لأخبره بأن يستعد للذهاب معي إلى المستشفى. كان الطريق إلى المستشفى مزدحمًا هذه المرة، وعندما وصلنا، كان باب المستشفى الرئيس مغلقًا، بينما يتم إدخال المرضى من بابٍ جانبيّ صغير. رفض مسئول الأمن إدخالنا، وقال بأن الدخول مسموح فقط للمصابين الجدد، وأن من أخذ جرعة من المصل،

يمكنه أن يعود بعد أسبوع. قلنا له إننا ملتزمون بالجدول الذي أعطانا إياه الطبيب، فقال بأن المصابين كثر، وأن كميات المصل محدودة، وأن هذه هي تعليمات الإدارة. حاولتُ الاتصال بأحد معارفي من الأطباء، فكان هاتفه خارج نطاق الخدمة. حاول وليد الصراخ في وجه مسئول الأمن، منتقدًا إدارة المستشفى ومسئولي الصحة. كان المصابون الجدد يقفون في طابور طويل على باب المستشفى ينتظرون دورهم، وكان أحدهم يتحدث في حماسة، ملوحا بيديه، قائلًا إنه رجل أمن سابق، وأن معه سلاحًا ناريًّا مرخصًا، وأنه قد ترصد لمجموعة الكلاب التي تأتي إلى شارعهم من بعد الفجر، واستطاع أن يردي معظمهم قتلى برصاصاته، قبل أن تهاجمه مجموعة أخرى من الخلف، قبل أن يتمكن من إعادة حشو مسدسه. يقول إنهم ربما أتوا من الشوارع المجاورة بعد سماع صوت الطلقات النارية، وأنهم أوقعوه أرضًا، وكادوا يفتكون به، لولا أن أنقذته سيارة كانت تمر بالصدفة، دهستْ بعضهم، وحمله سائق السيارة مسرعًا إلى سيارته، بينما عشرات الكلاب تحيط بالسيارة من الجانبين، وتنبح عليهم بقوة، قبل أن يستطيع سائق السيارة الإفلات منهم، ويذهب به إلى عدة مستشفيات، ليفاجأوا بعدم وجود المصل، وأنهى حديثه وهو يدعو الله ألا ينفد المصل قبل أن يحين دوره.

عدنا أنا ووليد إلى العمارة، كان كلبنا نائمًا، ويبدو أنه كان يحلم أحلامًا سعيدة، ويتخيل وجبته المضمونة القادمة. أخطرنا الحارس بأن

الأستاذ عادل رئيس اتحاد الشاغلين قد دعا السكان إلى اجتماع عاجل اليوم بعد صلاة المغرب بمدخل العمارة، لمناقشة هذه الظاهرة الكلابية. لم يحضر وليد الاجتماع، ولا سيادة المستشار، ولا ما يقرب من نصف السكان. اعترض البعض على قرار الأستاذ عادل بأن يتولى السكان بالتناوب مسئولية إطعام الكلب. قال الأستاذ عادل إن لديه عرضًا من إحدى شركات الأمن الخاصة، بتولي مسئولية الحراسة، وإبعاد الكلاب، مقابل مبلغ شهري كبير، وأن تكلفة إطعام الكلاب أقل بكثير من تكلفة شركة الأمن. اقترح البعض تسميم طعام الكلب، ولكن تجربة السيدة فوزية لم تكن تبشر بخير، وحتى إن قمنا بتسميم الكلب، فسيأتي كلبٌ ثانٍ وثالث، وربما جاء أصحابه لينتقموا له. اقترح البعض تجميع مبلغ من كل شقة، والتعاقد مع أحد المطاعم لتوفير الوجبات المطلوبة، واقترح ساكنٌ آخر بأن نزيد المساهمة قليلًا، لشراء وجبة خفيفة لحارس الأمن، ولم يؤيد أحد هذا الاقتراح. انفض الاجتماع على أن يستمر السكان في إطعام الكلب، فقط، حسب الجدول اليومي، حتى يأتي الله بالفرج من عنده.

مضى يومٌ ويومٌ ويوم، وأسبوعٌ وأسابيعٌ، وشهر وشهور، وصارتْ الكلاب شيئًا معتادًا في حياتنا، ربما غاب الكلب الذي اعتدنا عليه، وظهر مكانه آخر، فنسأل الحارس عنه، وعن أحواله، وما الذي جعله يغيب عنا، ومتى سيرجع؟ وأطلقتْ كل عمارة على كلبها اسمًا لتميزه عن غيره، وعقد اتحاد الشاغلين اجتماعًا جديدًا لاختيار أنسب اسم لكلب عمارتنا، وحضر

هذا الاجتماع عدد من السكان أكبر ممن حضروا الاجتماع الأول، واختلفنا كالعادة، حتى أخذنا الأصوات، هل نسميه "ريكس"؟ أم "روي"؟ واقترح أحدهم أن نسميه "الغندور". كان الكلاب من فتوات شارعنا الجدد كلهم من الذكور، وربما جاء أحدهم يومًا بابنه الصغير معه، ليريه أصول العمل، وانضم "الغندور" وأصحابه إلى مفردات حياتنا اليومية، وربما نسيتْ إحدى الشقق دورها في تقديم الإتاوة اليومية، فيزوم "الغندور"، ويشد عوده، وقد سمن الآن بعد جوع، ويرمق الحارس منذرًا ومحذرًا، فيسرع المسكين بالاتصال بالشقة التي عليها الدور، حسب الجدول، وسرعان ما يجد "الغندور" حصته المقررة، وربما أزيد قليلًا، على سبيل الاعتذار العملي عن التأخير أو النسيان.

وفي صباح أحد الأيام، لم أجد "الغندور" في مكانه المعتاد. بحثتُ عنه في الجوار، فربما كان يزور زميله "زغلول" في العمارة المجاورة، أو صديقه "جاسبر" في العمارة المواجهة، ولكنني لم أجد أيًّا منهم. سألتُ الحارس مستفسرًا، فأجابني:

- بعض شباب الحي، بارك الله فيهم، اخترعوا جهازًا يطلق موجات أو ترددات، فوق صوتية أو تحتها، لا أعلم بالضبط، وقد قاموا فجر اليوم بتركيب عدد من هذه الأجهزة على مداخل الشوارع، ويبدو يا أستاذ أن الكلاب تخاف من هذه الأصوات، فلم تحضر اليوم، إنه جهاز يشبه طارد الفئران أو الناموس. أولاد عفاريت بصحيح. العلم نور يا أستاذ.

- ولكنني لم أسمع شيئًا.

- قلت لك إنها موجات فوق صوتية أو تحتها. إن بني آدم ممن هم مثلي ومثلك لا يستطيعون أن يسمعوها، ولكن هؤلاء الوحوش يسمعونها ويخافون منها. سبحان الله.

- وماذا فعل "الغندور"؟

- هذا الكلب الأجرب؟ اذكر لنا شيئًا حسنًا يا أستاذ، إن شاء الله تأخذه ستين داهية، لقد كاد يعقرني مرة، عندما شك في أنني قد أخذتُ جزءً من طعامه. لقد كان يأكل مرتين في اليوم، تصور يا أستاذ، بل ويأخذ بواقي الطعام معه قبل أن ينصرف. ربنا يبارك في الشباب المتعلم المتنور.

- إذن سيتم إيقاف العمل بالجدول؟

- جميلٌ أنك ذكرتَ هذا الموضوع، لي عندك طلب يا أستاذنا، لو سمحت، أقول لو ممكن، يقوم السادة السكان المحترمون بمنحي وجبة واحدة في منتصف النهار، ولو قطعة من الجبن ورغيف من الخبز، والله سبحانه وتعالى يحميكم أنتم وأولادكم من كل مكروه وسوء.

- سأبلغ السكان إن شاء الله.

- هل عرفتَ ما حدث اليوم؟ بعد أن قامتْ السيدة فوزية بإرسال وجبة الإفطار لهذا "الغندور" اللعين، وعندما مر الوقت ولم يأتِ، أرسلتْ ابنها محمود، هذا الشيطان الصغير، ليأخذ الوجبة مرة أخرى، بعد أن كنتُ قد تعشمتُ في . .

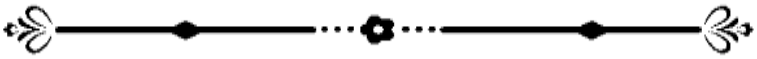

- سوف أبلغ السكان إن شاء الله.

انصرفتُ سريعًا حتى لا أتأخر عن العمل، هناك، عرفتُ أن الفكرة قد تم تطبيقها في كل أحياء المدينة التي احتلتها الكلاب، وأن الشباب أصحاب الفكرة قد كونوا مجموعاتٍ للتواصل فيما بينهم، وعندما انتهوا من تصنيع الأجهزة المطلوبة، حددوا ساعة الصفر، وقاموا بالتنفيذ اليوم. عاد الزملاء إلى أعمالهم، وعدتُ أنا الآخر إلى مكتبي، وأنا أفكر، هل تعمل هذه الأجهزة بالكهرباء؟ أم بالبطاريات؟ وهل ستتوقف الأجهزة عن إطلاق موجاتها إذا نضبت طاقة البطاريات؟ وهل ستستسلم الكلاب بهذه السهولة؟ لقد ذاقتْ النعيم، ومَنْ ذاق عرف، ومَنْ عرف اغترف، فهل سترجع من حيث جاءتْ، مكتفية من الغنيمة بالإياب؟ وهل سيوافق السكان على توفير وجبة يومية للحارس؟ وهل ستنتهي كوابيس حنين؟

جائزة الأستاذ فريد

للمرة الأولى منذ أن وصل الأستاذ فريد لسن التقاعد (المعاش)، يتغير روتينه الصباحي؛ الإفطار، ثم النزول للجلوس على مقهى خفاجي القريب، فنجان القهوة، قراءة الجريدة، الحديث مع بعض الأصدقاء، كتابة قصة قصيرة أو مقالة نقدية، ثم، وعندما يسمع أذان الظهر، يصلي في المسجد القريب، وأخيرًا يشتري بعض لوازم البيت، قبل أن يعود لزوجته تفيدة. عندما جاءته المكالمة، كانت زوجته تفيدة ما زالت نائمة، بينما كان هو يجهز الإفطار. كان الرقم المتصل غير مسجلٍ على هاتفه، كان طويلًا على غير المعتاد، ويبدأ بصفرين. انتظر قليلًا حتى يتعرف برنامج الهاتف على المتصل، لحظات وظهر له اسمٌ "الشيخ محمد بن حمدان". فتح الاتصال، وبعد أن تأكد المتصل من هويته، أخبره بأنه رئيس لجنة جائزة الإمارات الأدبية، وأن مجموعته القصصية الأخيرة قد فازت بالمركز الأول من بين أكثر من مائتي مشاركة. كان فريد قد اشترك في المسابقة وهو يأمل فقط في الوصول إلى القائمة الطويلة، وعندما تحققت أمنيته، رفع سقف طموحاته إلى الوصول إلى القائمة القصيرة، وعندما رأى اسمه في القائمة، توقفت أحلامه، بالنظر إلى الأسماء الكبيرة للمنافسين، وكونه مشهورًا فقط على المستوى المحلي، بالإضافة إلى ما يتم تداوله على منصات التواصل الاجتماعي حول

أهمية العلاقات الشخصية، للحصول على الجائزة. أفاق الأستاذ فريد من تأملاته عندما قدم له الشيخ محمد التهنئة، وأخبره أن يستعد لحضور حفل توزيع الجوائز خلال الأسبوع التالي، وأنهم سيرسلون له مع مندوب السفارة تذاكر الطيران والتأشيرة وحجز الفندق، وأنه سيجد في المطار من ينتظره ليرافقه بسيارة خاصة إلى الفندق ثم إلى الحفل. سأله الشيخ، هل يمتلك حسابًا بنكيًّا بالعملة الأجنبية، حتى يقوموا بتحويل قيمة الجائزة عليه، أم أنه يفضل الحصول على شيك بالمبلغ؟ كان مبلغ الجائزة جسيمًا، ولم يكن لدى فريد أي علاقة بالبنوك، اللّٰهُمَّ إلا البطاقة البنكية التي يصرف من خلالها معاشه، أول كل شهر. كان لديه دفتر توفير في البريد، ولكنه خجل من أن يخبر الشيخ بذلك. وفي كلماتٍ متقطعة، شكر الشيخ، قبل أن ينهي المكالمة، وهو مازال غير مصدق، فربما يكون الأمر كله مجرد خدعة. ربما كان أحدهم يعابثه، إن صوت الشيخ الخليجي يمكن تقليده، ولكن لا، إن رقم المتصل كان طويلًا جدًا، ويبدو أن الأمر صحيح، وأن الدنيا قد أنصفته، أخيرًا. نسى فريد الإفطار، وأعد لنفسه كوبًا من الشاي، وأضاف ملعقة سكر، قبل أن يجلس في مقعده المفضل، في شرفة منزله الصغيرة.

منذ سنوات، كان يدعو الله، عقب كل صلاة، أن ينال جائزة الدولة التقديرية، بعد أن تخطته الجائزة لسنين، لصالح بعض الصغار، من متوسطي القيمة، وعديمي الموهبة، ولكنهم ممن أجادوا فن العلاقات العامة، والترويج لأنفسهم، والتواجد على كل المنصات والموائد، أما هو، فقد فضل

البقاء في مدينته الساحلية، البعيدة عن الأضواء، حيث التدريس في المدرسة الإعدادية، قبل أن يحال إلى التقاعد، وإدارة ندوة الأدب الأسبوعية في قصر الثقافة المتواضع؛ يفتح قلبه وأذنيه للأدباء الشبان، يصحح ويوجه، ينصح ويساعد، ينظم لهم أمسية شعرية أو ندوة أدبية، ويرجو زملاءه القدامى، ممن أصابتهم الأضواء والشهرة، بأن يأتوا، كضيوفٍ، لكي يشجعوا النبتة الجديدة. أربعون عامًا، وربما أكثر، قضاها بين المدرسة والمقهى وقصر الثقافة، أنتج خلالها أكثر من أربعين رواية ومجموعة قصصية، آخرها هي تلك التي فازت في المسابقة. هل فازت حقًّا؟ رن هاتفه المحمول فجأة، ووجد أحد الأحباب يهنئه على الفوز، ويخبره بأن الخبر قد انتشر على وسائل التواصل الاجتماعي. بعدها، انهالت المكالمات والرسائل، وفكر فريد، هل يوقظ تفيدة ليخبرها؟ لا داعي، قرر أن يذهب إلى المقهى، على عادته. كان المقهى خاليًا في هذا الوقت من الصباح، جلس على مائدته المفضلة، داخل المقهى، بجوار النافذة الزجاجية، يستطيع أن يرى الشارع كله من هنا، موظفين وباعة جائلين، طلبة وسيدات بدينات متشحات بالسواد، أطفال بؤساء وشيوخا متهالكين، ولطالما جاءته أفكار القصص الجديدة من تأملاته ومشاهداته من خلف تلك النافذة. أتى له صبي المقهى بقهوته، بدون كلام، وبدأ فريد يفكر في مبلغ الجائزة، قال له الشيخ إنها تعادل مليون جنيه مصري. يا الله! إن أكبر مبلغ رآه في حياته كلها كان مكافأة نهاية الخدمة، بعد خمسة وثلاثين عامًا في التعليم، لم تتعد قيمة المكافأة

بضعة آلاف من الجنيهات. والآن، ماذا سيفعل بكل هذه النقود؟ تذكر أحد الأفلام الكوميدية القديمة، وتخيل نفسه وهو يقف في صالة منزله، والأوراق المالية تتساقط عليه من أعلى، أو أن يجد فراشه ممتلئًا بحزم الأوراق النقدية، ذات الفئات الكبيرة، فيلقي بنفسه عليها، يغطس فيها، ويتقلب عليها. أفاق من أحلامه سريعًا، وهو يفكر جديًّا هذه المرة، ماذا سيفعل بالنقود؟ سيخصص لابنه عصام جزءً كبيرًا، وكذلك لابنته فاطمة، وسيقوم بتجديد الشقة، سيتفق مع عبده النقاش لطلاء الشقة بالكامل، وسيغير باب الحمام الخشبي القديم، الذي أكله السوس، ونشعت فيه الرطوبة، وسيصلح غسالة الملابس، وربما يشتري تلفازًا مسطحًا جديدًا، وإن كان القديم مازال يعمل بصورة جيدة، ولكن لا بأس في أن يساير متطلبات العصر. سيقيم وليمة كبيرة لعائلته الكبيرة، ديك رومي، أو كباب وكفتة من عند الحاتي القريب. لا يتذكر متى كانت آخر مرة اشترى منه شيئًا. سيعطي لتفيدة مبلغًا كبيرًا لتشتري لنفسها ملابس جديدة، ومبلغًا آخر لشراء بعض المصوغات الذهبية. ربما كانت آخر مرة اشترى لها ذهبًا، هي نفسها أول مرة، يوم أن اشترى لها شبكة الزواج، منذ أربعين عامًا. اعتادت تفيدة أن تدخل في بعض الجمعيات مع جاراتها، فتدفع لهم مبلغا شهريًا، وعندما يأتي دورها، وتقبض مبلغ الجمعية، تشتري لنفسها ما تريد. سوف يتبرع بجزء من الجائزة لقصر الثقافة، لمساعدة الأدباء الشبان على نشر أعمالهم الأولى، وسيدعو زملاء المقهى لتناول ما يريدون، على حسابه،

لأسبوع كامل، وسيتبقى، بعد ذلك، مبلغ كبير، سيضعه في البنك. أخيرًا، سيكون له حساب في البنك، وسيحصل على عائد شهري، يضاف إلى مبلغ المعاش، حتى يأتي أمر الله. عليه فقط أن يستفتي شيخ الجامع في عدم وجود شبهة للربا في مبلغ العائد.

عندما رن هاتفه مجددًا، كانت المكالمة هذه المرة من ابنه عصام. لم يره أو يسمع صوته منذ شهور. كان عصام يعمل في القاهرة، وقد تزوج وأنجب هناك، ولم يعد يأتي إليهم إلا في الأعياد. بعد السلامات والتهاني، أخبره عصام بأن هذه الجائزة قد جاءت له في موعدها تمامًا، فهو يريد أن ينتقل إلى شقة أخرى، قريبة من عمله، ومن مدارس الأولاد، وأنه سيأتي هو والأولاد يوم الجمعة القادم، ليحتفلوا معًا بالأديب العظيم.

بدأ أصدقاء المقهى يتوافدون، من الواضح أن الخبر لم يتسرب إليهم بعد. دار الكلام كالمعتاد عن أحوال البلاد، وعن أيام زمان التي لن تعود، وعن النفوس التي تغيرت، وعن الحياة التي لم يعد لها طعم. لم يقل لهم شيئًا، ولكنه أصر قبل أن ينصرف مبكرًا على أن يحاسب على الطلبات كلها، بين دهشة وترحيب. عندما دخل شقته، كانت تفيدة في المطبخ. التفتت إليه متسائلة عن سبب عودته مبكرًا اليوم؟

- لقد فزت في مسابقة أدبية كبيرة، وإن شاء الله سوف أسافر إلى الإمارات في الأسبوع القادم لتسلم الجائزة، وعليّ أن أستعد من الآن.

- الإمارات؟ وأين الإمارات هذه؟ هل هي في السعودية؟

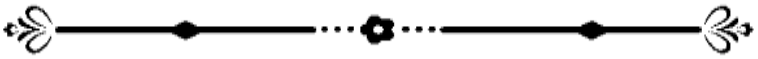

- لا، إنها دولة أخرى، بجوار السعودية؟
- وهل ستسافر وحدك؟
- نعم.
- ألا يمكن أن أسافر معك؟ ربما يكتب الله لنا أداء العمرة، وزيارة الحبيب.
- قلت لك إنني لن أسافر إلى السعودية. إنها رحلة سريعة، يومان أو ثلاثة على الأكثر.
- وهل ستركب الطائرة؟
- إن شاء الله.
- وهل يجب أن تذهب؟ قل لهم أن يرسلوا لك الجائزة هنا.
- يجب أن أذهب إليهم بنفسي، فهذا هو شرطهم.
- وكم تبلغ هذه الجائزة؟
- بضعة آلاف.
- الحمد لله. ظننتك ستأتيني بشهادة تقدير ودرع خشبية والمزيد من الكتب، كما فعلت في المرة السابقة.
- كان هذا عندما كرمني مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم، العام الماضي.
- ستكون فرصة لأن نصلح غسالة الملابس، كما أنني لم أسدد قسط جمعية الحاجة رتيبة منذ شهرين، وهذه الأيام، أنت تعلم، لم يعد أحد يصبر على

أحد. لا تنس ابنتنا فاطمة، كانت تريد مبلغًا صغيرًا لدفع مصاريف مدارس أولادها. أنت تعرف ظروف زوجها. هل ستكفي الجائزة يا حاج؟

- إن شاء الله يا حاجة.

- إذن توكل على بركة الله.

- إن شاء الله عصام وزوجته وأولاده سيجيئون لزيارتنا يوم الجمعة القادم.

- أخيرًا؟ لقد أوحشوني كثيرًا هؤلاء الأولاد الملاعين. لا تنس أن تشتري لوازم الزيارة، وسوف أبلغ فاطمة لتأتي وترى أخاها.

- إن شاء الله.

- وأنت؟ ألا تحتاج إلى شيء من أجل هذه السفرية؟ بذلة جديدة أو قميص؟ أو ربما حذاء؟

- لا. ربما تحتاج البذلة الرمادية إلى بعض التنظيف والكي، والحذاء الأسود يحتاج فقط إلى تلميع، أعتقد أنني سأحتاج إلى زوج من الجوارب الجديدة.

بعد أن تناولا طعام الغذاء، وارتاح الأستاذ فريد قليلًا، صحا على رنين هاتفه المحمول. كان هذا هو صاحب دار النشر التي نشرت له مجموعته القصصية، بعد التهنئات والتبريكات، أخبره الناشر أن لدار النشر نصف قيمة الجائزة، حسب العقد الموقع بينهما. صُدِم الأستاذ فريد، فقد النطق للحظات، وكاد أن يسقط مغشيًّا عليه، ولكنه تمالك نفسه أخيرًا، وهو يلقي بجسده على أقرب كرسي، بينما الناشر يبشره بأنه سيطبع طبعة ثانية من

المجموعة، ولسوف تنفد سريعًا مع الدعاية المجانية التي صنعها خبر فوزه بالجائزة، فيتبعها بطبعة ثالثة، وربما رابعة، وأن كليهما الآن قد أصبح وش السعد على الآخر، وأنه سيطبع له كل أعماله الجديدة، والقديمة أيضًا، كما أنه سيرسل له نسخًا إضافية من المجموعة الفائزة، لتوزيعها على ضيوف الحفل، على نفقة الدار هذه المرة، قبل أن ينهي المكالمة ضاحكًا.

العقد، أين هو هذا العقد اللعين، بالتأكيد في درج المكتب، التهمت عيناه السطور، حتى وقعت على البند التاسع:

يقر الطرف الثاني، ويلتزم، بأنه في حالة حصول الكتاب على جائزة، يكون للطرف الأول نسبة **50**٪ من قيمة الجائزة.

أحس فريد أن أحلامه تتبخر، سيلتهم هذا النصاب نصف المكافأة، بدون أن يفعل شيئًا، ألا يكفيه أنه لم يعطه جنيهًا واحدًا من عائد بيع المجموعة، متحججًا بارتفاع أسعار الورق، والأحبار، ونسبة المكتبات، وأرضية المعارض، وأن القراء قد عزفوا عن شراء الكتب، بعد غلاء أسعارها، وتوافر العديد من الكتب المتاحة مجانًا على شبكة الانترنت. أيها اللص، سيستولي على نصف قيمة الجائزة، ويتقاعد، ويغلق دار النشر أو يبيعها، ويضع النقود في البنك، ويعيش بقية عمره من ريعها. آه، ألم يقرأ هذا العقد المجحف قبل التوقيع؟ ولكن، من كان يتصور أن تفوز المجموعة بمثل هذه الجائزة؟ سيستشير محاميًّا، سيفسخ العقد، وسيدفع الشرط الجزائي، أين هو الشرط الجزائي؟ البند الثاني عشر:

اتفق الطرفان، وأقرا صراحةً، على أنه في حالة إخلال أي منهما ببنود هذا العقد، يلتزم بسداد مبلغ وقدره **5000** جنيه (خمسة آلاف جنيه مصري فقط لا غير) كشرط جزائي.

معقول جدًا، خمسة آلاف جنيه، لا بأس. تذكر أن أحد أصدقاء المقهى كان مديرًا للشئون القانونية بإحدى الشركات، قبل أن يحال مثله على المعاش، ويجمعهم مقهى واحد، وفي أحيان كثيرة، طاولة واحدة. بحث بعصبية في سجل الهاتف حتى عثر أخيرًا على رقمه. اتصل مرة دون رد، ليس هذا وقته، اتصل مرة أخرى، وأخيرًا رد المحامي المتقاعد. قال له الرجل إنه إن أراد فسخ العقد الآن، فسيتم هذا بعد دفع نصيب الناشر. لا فائدة. بارك له الرجل على الجائزة، ونصحه بأن يحاول حل الأمور بشكل ودي مع الناشر. قبل أن ينهي المكالمة، سأله المحامي، هل الجائزة خالصة الضرائب أم لا؟ قال له إنه لا يعرف، فقال المحامي المخضرم بأن الضرائب قد تلتهم أربعين بالمائة من الجائزة، وطلب منه صورة من العقد، وخطاب الجائزة حتى يفتيه بالرأي القانوني الأكيد. يا للمصيبة! خمسون بالمائة للناشر وأربعون بالمائة للضرائب، فما الذي تبقى؟

بحلول المساء، تسرب الخبر إلى الجيران، وانطلقت بعض الزغاريد من الشرفات المجاورة والمقابلة. في اليوم التالي، حضر أحد الصحفيين من القاهرة لإجراء حوار صحفي مع الأديب الكبير، وقام بتصويره وهو يكتب في المقهى، وصورة أخرى له مع الأصدقاء، من أين أتى كل هؤلاء الناس؟

طلب الصحفي منه نبذة عن المجموعة القصصية الفائزة، لينوه عنها في الجريدة. بعد صلاة الظهر، أفتاه شيخ الجامع بعدم وجود شبهة ربا في عائد الشهادات البنكية، وطلب منه ألا ينسى الفقراء والمساكين من أهل الشارع، وخصوصًا من يحسبهم الناس أغنياء من التعفف، وأن يجعل لهم من الجائزة نصيب، ولو حتى أن يذبح عجلًا ويوزع لحومه على الأحبة.

في يوم الجمعة، حضر عصام مع زوجته وأولاده، وحضرت فاطمة مع زوجها وأولادها، وبعد غذاء تفيدة الشهي، أخبر فريد ابنه بالعقد الموقع مع الناشر، وكذلك بموضوع الضرائب. تحول عصام من حالٍ إلى حال، احمر وجهه وانتفخت عروقه، وتصبب العرق على وجهه، وتوعد هؤلاء اللصوص إن جرؤ أحدهم على المطالبة بجنيه واحد، فإن عمله في القاهرة قد أتاح له التعرف على العديد من المسئولين المهمين، وأنه لن يقف مكتوف الأيدي وهو يرى أحلامه تتبخر بعد أن صارت أقرب إليه من أي وقت آخر.

دق جرس الباب فانتزع الجميع من أفكارهم، كان القادم هو مندوب السفارة، يحمل إلى الأستاذ فريد مظروفًا به تذاكر الطيران، وحجز الفندق، والتأشيرة الالكترونية، بالإضافة إلى عدة مئات من الدولارات، كمصروف جيب. سأله عصام عن موقف الجائزة من الضرائب، فأجابه المندوب بأن الجوائز لا يفرض عليها ضرائب في وطنه، ولكنه لا يعلم شيئًا عن النظام المعمول به هنا. حاول عصام أن يقنع المندوب بأن يتم الإعلان عن قيمة زهيدة للجائزة، حتى يكون نصيب الناشر، والضرائب إن وجدت،

قليلًا، فاعتذر المندوب في أدب، وأبلغه بأن قيمة الجائزة معلنة للجميع، وأن تسليم الجائزة سيتم في احتفال رسمي، وسيوقع الأستاذ فريد على استلام المبلغ كاملًا. وبينما كان عصام يفكر في طريقة أخرى للتهرب من التزامات الناشر، ومن الضرائب، جاءته مكالمة من ابنه الصغير يوسف. تلفتَّ حوله في دهشة، فما الذي يجعل ابنه يتصل به، والمفترض أنه معه في نفس الشقة؟ نادى على ابنه، فردت زوجته بأن يوسف نزل ليشتري بعض الحلوى من محل البقالة القريب. رد على المكالمة، فسمع صوتًا غريبًا يخبره بأنه "يستضيف" يوسف عنده في مكانٍ أمين. حذره المتصل من إبلاغ الشرطة، وإلا فإنه لن يرَ ابنه مرة أخرى، وطلب منه دفع نصف مليون جنيه، على سبيل الفدية، وطلب منه أن يعطيه الأستاذ ليكلمه، فالأديب الكبير لن يبخل على حفيده بهذا المبلغ الصغير. لثوانٍ، توقف تفكير عصام، ومد يده بآلية إلى والده ليناوله الهاتف المحمول.

أفاق عصام من ذهوله على صوت سقوط والده على الأرض، والتفاف الجميع حوله، مندوب السفارة، وأمه تفيدة، وزوجته، وابنته الصغيرة، وأخته فاطمة، وزوجها، وأولادهما. كانت تفيدة وفاطمة والأولاد يصرخون بلا انقطاع، بينما يحاول زوج فاطمة ومندوب السفارة إفاقة الأستاذ فريد. في النهاية، حملوا الرجل الكبير، ووضعوه على فراشه، وقام زوج فاطمة باستدعاء الإسعاف.

وصلت سيارة الإسعاف سريعًا، على غير العادة، وقام الطبيب بإجراء القياسات الحيوية للأستاذ فريد، وتركيب بعض المحاليل الوريدية له، وطلب من الجميع الصمت، والتزام الهدوء. بعد دقائق، أفاق الأستاذ فريد من غيبوبته، ولكنه لم يكن قادرًا على الكلام، كان يشعر بمن حوله، ويسمع أصواتهم، رأى زوجته وابنته تبكيان، ورأى عصام يتحدث في هاتفه المحمول بصوتٍ عالٍ، بينما زوج ابنته يتحدث مع الطبيب. أغمض عينيه، وهو يرى أحداث الأيام الأخيرة تمر، كشريط سينمائي في ذاكرته، الجائزة، الناشر النصاب، المحامي الذي طلب نصيحته فبشره بالضرائب، أصدقاء المقهى، الصحفي المغرور، شيخ الجامع المتعفف، العجل المنتظر، قصر الثقافة، الأدباء الشبان، عصام، الشقة الجديدة، شهادات البنك الحلال، مندوب السفارة، يوسف، يوسف. وفجأة، أمسك الأستاذ فريد بيد الطبيب بقوة، وهو يشير له ليأتي بمندوب السفارة، وعندما اقترب المندوب، استجمع الأستاذ فريد كل ما بقى له من قوة، وهو يهمس للمندوب، أعتذر عن قبول الجائزة، قبل أن يسقط في إغماءة أخيرة.

طلوع السلالم

بشرني عم مصطفى، فرد الأمن المكلف بحراسة عمارتنا الشاهقة، بأن شركة الكهرباء، قد قررتْ اليوم، تغيير موعد قطع التيار الكهربي، أو كما يسمونه، تخفيف الأحمال، ليبدأ من الساعة الرابعة عصرًا ولمدة ساعتين، يوميًّا. ولما كنت أسكن في الدور العاشر، فقد أصبح لزامًا عليَّ أن أختار بين الصعود على السلالم، عشرة أدوار، كل يوم، وبين الانتظار، بجوار عم مصطفى، حتى يأتي فرج الله. تحسستُ ظهري وفقراتِه، وربَّتُّ على ركبتيَّ في تساؤل، هل ستفعلانها؟ واستعنتُ بالله، وبدأتُ الرحلة العبثية. تذكرتُ سيزيف، البطل الأسطوري، الذي عاقبته آلهة جبال الأوليمب بأن جعلتْهُ يدفع صخرةً كبيرةً كل يومٍ ليصعد بها إلى قمة الجبل، ثم ما إن يصل، حتى تتدحرج الصخرة نازلةً إلى سفح الجبل، وهكذا في كل يوم. لم أتذكر ما الذي فعله سيزيف ليعاقب هكذا؟ ولا ما الذي فعلتُه أنا؟ أنا المواطن الشريف، الذي لا يتكلم في السياسة، وتُستقطعُ مِنه الضرائبُ من المنبع، ويسدد فواتير الكهرباء المقطوعة والمياه والغاز والانترنت بانتظام. أول الغيث، الدور الأول، على اليمين، وبجوار السلم، مقر شركة الأدوية. يقول عم مصطفى إن بها سكرتيرة حسناء، وأنه يسمع صوت ضحكاتها يجلجل من وراء الباب المغلق. لم أرَها قط، تأتي متأخرة عن ميعاد نزولي، وتنصرف بعد أن أكون

قد تناولتُ غذائي، ونمتُ. وقفتُ لأرتاح قليلًا. لم أسْمعْ شيئًا. ضوء النهار يتسرب من خلال النوافذ الزجاجية فيجعل الرؤية ممكنة إلى حد ما. الطابق الثاني، الأستاذ حسن وزوجته وأبناؤه، رائحة الطعام شهية للغاية. يبدو أن زوجته سيدة منزل ممتازة. لم أشم هذه الروائح منذ أن توفيتْ أمي، عليها رحمة الله. تذكرتُ تجربة العالم الروسي بافلوف، والذي كان يهز الجرس فيأتي كلبه، ثم يقدم له الطعام. ربط الكلب بعد عدة مرات بين صوت الجرس وبين الطعام، فصار يهيئ نفسه للطعام إذا سمع صوت الجرس فقط. لماذا لم يربط بافلوف بين الطعام وبين رائحة الطعام بدلًا من صوت الجرس؟ هل عندهم في روسيا طعامًا مثل طعام السيدة زوجة الأستاذ حسن؟ لا أعتقد. الطابق الثالث، الضوء يخفت رويدًا رويدًا، يبدو أنني سأحتاج إلى استخدام كشاف الهاتف المحمول. كيف يضاء هذا الكشاف؟

فجأة، انطلقتْ قطة بسرعة فائقة تجري نازلة على السلالم، احتك جسمها بقدمي اليسرى، شعرتُ بها متوترة، ذيلها منتصب لأعلى، وعيناها تلمعان في الظلام. كانت تموء وهي تنظر لي في عدوانية، بلا مبرر. لم أفعل لها شيئًا. في الواقع، هي التي أفزعتني، عليها لعنة الله. هؤلاء الأولاد الملاعين في الدور الرابع، يضعون لها الطعام والشراب. تحدثتُ مع أبيهم أكثر من مرة، وكتبتُ لهم على جروب الواتس الخاص بالعمارة، فكان يرد في كل مرة بأن هذا من باب الرفق بالحيوان، وأن في كل كبد رطبة أجر، والراحمون

يرحمهم الله، وأشياء من هذا القبيل. الحمد لله أن هذه القطة، أم لعله قط؟ كانت رمادية اللون، ولم تكن سوداء. كان شيخ مسجدنا وأنا صغير يقول إن القطط السوداء هي جان متخفٍ. كبرتُ، وضحكتُ من نفسي لتصديقي هذه الأوهام. هل هي أوهام فعلًا؟ الطابق الخامس، عليَّ أنْ أحترس، لا شيء، صمتٌ تام، وظلامٌ مطبق، اللّٰهُمَّ إلا من نور كشاف المحمول. لا أعرف مَنْ يسكن في هذه الشقة، المغلقة دائمًا. فرصة لأستريح قليلًا، فقد أنجزتُ نصف المهمة. الطابق السادس، الدكتور عاطف المسيحي، يضع صليبًا صغيرًا فوق باب شقته، وبعض السعف. لا أنسى له يوم أن أصبتُ باختناقٍ وضيقٍ في التنفس وعدم القدرةِ على الكلام منذ عدة شهور، استنجدتْ زوجتي به في منتصف الليل، فأتى مسرعًا، بملابس البيت، وأعطاني بعض الحقن والمحاليل، وظل بجانبي، حتى أفقتُ. ليت كل الجيران مثله، حتى لو كانوا مسيحيين. الطابق السابع، السيدة أنهار، الأرملة التي يعيش معها ابنها الوحيد عزت، وزوجته الشابة. لطالما استنجدت السيدة أنهار بزوجتي لتفض خلافاتها المستمرة مع زوجة ابنها، حتى أنا، طلبتْ مني عدة مرات أن أتحدث مع عزت، ليطلب من زوجته أن تحفظ لها وضعها ومكانتها وسنها، ولو قليلًا. عزت، المغلوب على أمره، يذهب إلى تجارته في الصباح، ويعود منهكًا في المساء، يريد أن يأكل، وأن يتركوه في حاله، يريد الهدوء، ويكتفي بهز رأسه لمن تحدثه موافقًا إياها على ما تقوله، أيًّا ما كان. يقول إن زوجته طلبتْ منه أن يسكنا معًا في شقة منفصلة، ولكن أمه رفضتْ، كما أن

الشقة اليوم تتطلب عدة ملايين، والسوق غدار. الدور الثامن، مَنْ يسكن هنا؟ زوجان شابان، الزوج يعمل في الخليج، وزوجته الشابة تعيش بمفردها، ويأتي أهلها من وقتٍ لآخر ليقضوا معها عدة أيام. كان باب الشقة مواربًا قليلًا، ليس مغلقًا تمامًا. يبدو أن أحدهم كان في طريقه للخروج، وعندما رآني صاعدًا رجع مرة أخرى. ازدادتْ سرعة ضربات قلبي، ودق ناقوس الإنذار في رأسي أن أكمل طريقك، ولا تتوقف هنا، ولا تحاول حتى أن تتظر إلى فرجة الباب. صعدتُ بعض الدرجات ثم توقفتُ. أحسستُ بحركةٍ من خلفي، وسمعتُ صوتَ الباب يُفتح ببطء. هل ألتفتُ؟ لا. سوف أصعد بقية الدرجات، لقد اقتربتُ كثيرًا، الدور التاسع، قلبي ما زال ينبض بقوة. هل هذا من مجهود الرياضة الإجبارية بعد طول تيبس؟ أم أن وراء الأبواب المغلقة ما وراؤها؟ هل هذا صوت خطواتي أم . .؟ أهي خطوات صاعدة أم هابطة؟ سريعة؟ متلصصة؟ سوف ألتفتُ، يجب أن ألتفتَ، التفتُّ. .

عندما استعدتُ الوعي، كنت ممددًا على فراشي، وزوجتي وأولادي من حولي، والدكتور عاطف يبتسم قائلًا: نحمد الرب على سلامتك، يبدو أنك سقطتَ وأنت تصعد السلم، وسمعتْ زوجتك صوت سقوطك فتعاونت مع الأولاد حتى أحضروك إلى هنا، توجد كدمة على رأسك، يبدو أنها من أثر السقوط. ألف سلامة.

لواحظ

بعد أن أنهيت محاضرتي، وما إن وصلت إلى مكتبي، حتى فوجئت بإحدى طالباتي، صافيناز، تطرق الباب بهدوء، وتقف على باب المكتب، منتظرة أن أأذن لها بالدخول. في خجل، وهي تتجنب النظر إليّ، طلبتْ مني صافيناز أن أعطيها درسًا خصوصيًّا في منزل أسرتها. قلتُ لها إنها طالبة متفوقة ولا تحتاج إلى أية دروس، ولكنها قالتْ بأنها ترغب في الاستزادة من علمي. انتزعت قصاصة من الورق من كراس محاضراتها، وكتبتْ لي بخط متسرع، عنوان منزلها، ورقم هاتفها المحمول، فأعطيتها موعدًا في مساء اليوم التالي. قبل موعدي بدقائق، كنت أجتاز مدخل البناية الفاخرة، وأضغط على زر جرس الباب. بعد لحظات، فتحتْ لي الباب فتاةٌ صغيرة، ترتدي جلبابًا ريفيًّا بسيطًا، وقادتني، بدون كلام، لرب البيت، والد صافيناز. كان الرجل مهيبًا، يجلس في حجرة مكتب عتيقة الطراز، تحتوي على مكتبة ضخمة، وعلى أرففها مئات الكتب، وتنبعث موسيقى سيمفونية من لا مكان، تبعث على التوتر والترقب. على يميني نافذة عملاقة، بطول الجدار كله، تطل على حديقة، وعلى يساري، لوحة ضخمة، مذهبة الإطار، تمثل شخصًا يشبهه بشدة، ويزيد عنه بشارب معتنى به، ويضع طربوشًا على رأسه، ويجلس على كرسي وثير، بينما تقف بجانبه إمرأة متوسطة

العمر، بيضاء البشرة، جميلة الملامح، ترتدي ملابس فاخرة، عتيقة الطراز، وبأسفل اللوحة، كان توقيع الرسام الأجنبي الذي رسمها، مع التاريخ، عام ألف وتسعمائة وواحد وخمسون. ابتسم والد صافيناز عندما رآني أحدق في اللوحة، وقال لي إنها صورة جده، الباشا السابق، وجدته، إحدى سيدات العائلة المالكة، سابقًا. قال إن الثورة قد أخذت منهم كل شيءٍ، تقريبًا، ولم يبق لهم سوى هذا المنزل، ولكنه يحاول أن يبقي على اسم العائلة، بالرغم من أنه لم يرزق سوى بابنته صافي. دعاني للجلوس، وطلب لي عصيرًا من الليمون، وسألني عن رأيي في الموسيقى التي نسمعها، وقد صارت الآن هادئة. قلتُ له إنها موسيقى أجنبية، وإنني أفضل موسيقانا العربية، وخصوصًا أغاني فيروز ومحمد منير. هز رأسه في أسف، وأخبرني أنها سيمفونية ضربات القدر. قال إن بيتهوفن قد ألف هذه السيمفونية، العنيفة في بدايتها، عندما أصابه الصمم، وكأن القدر يعانده، ولكنه دخل بفنه في صراع مع قدره، ينتصر حينًا، وينهزم أحيانًا، ولكنه في كل الأحوال، لا يملك إلا أن يحاول. سألني الرجل عن رأيي في مستوى ابنته الدراسي، فأجبته بأنها من أفضل طالباتي، فهز رأسه راضيًا. انتهيتُ من شرب العصير، فقادني الأب إلى غرفة أخرى، تحتلها طاولة ضخمة، وعلى رأسها، تجلس صافي، وأمامها كتب وأوراق الدراسة، وتبتسم لي. لم تكن تشبه صورة السيدة التي في اللوحة، ولكن جمالها كان من نوعٍ مختلف، كانتْ تعقص شعرها خلف رأسها في ضفيرة طويلة، وترتدي ثيابًا بسيطة.

رحبتْ بي بصوتٍ منخفض، وهي تنظر إلى الأوراق التي أمامها، وسرعان ما اندمجنا في الدرس. تأكدتُ بأنني كنتُ على حق عندما قلتُ لها إنها لا تحتاج إلى دروس إضافية. لماذا إذن كل هذا؟ وفجأة، وجدتُ نفسي أفكر فيها بطريقة مختلفة. هل هي . .؟

بعد ما يقرب من ساعة، طلبتْ صافي خمس دقائق للراحة، فوافقتُ. وبدون أن تقوم من مكانها، نادتْ بصوتٍ مزلزلٍ: لواااحظ. هزني الصوت، بقوته ونبرته الآمرة المسيطرة، نظرتُ إليها وأنا أتوقع أن أرى فتاةً أخرى، فكانتْ هي هي، لم تتغير، بنفس الابتسامة البريئة. جاءتْ لواحظ، الفتاة التي فتحتْ لي الباب، وهي تسأل سيدتها الصغيرة بم تأمر، طلبتْ صافي لنفسها قهوة فرنسية، وحذرتْ لواحظ من أن تفسد (وش) القهوة، وسألتني ماذا أريد. كنتُ أريد أن أخرج فورًا، الفرار، الهروب من هذا كله، ولكنني تماسكتُ، وطلبتُ كوبًا من الشاي، بملعقة سكر واحدة. أحسست أن دقائق الراحة لا تريد أن تمر، فأخرجتُ هاتفي المحمول وتشاغلتُ بتصفح الرسائل، فلم أكن أريد أن أتبادل مع صافي أي حوار. أخيرًا جاءتْ القهوة والشاي، واستكملنا الدرس حتى انتهينا بعد ساعةٍ أخرى. سألتني صافي عن ميعادنا القادم، فقلتُ لها إنني منشغل للغاية حتى نهاية الأسبوع، وإنني سأتواصل معها بعد ذلك. خرجتُ مسرعًا، ولم أرَ والدها. قطعتُ الشارع المؤدي إلى البحر في خطواتٍ سريعة، حتى وجدتُ إحدى الأرائك الخشبية الخالية المطلة على البحر، فألقيتُ نفسي

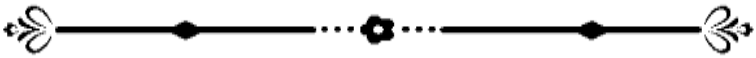

عليها، وأنا أشعر بتعبٍ غريب. مضتْ دقائق طويلة، حتى أحسستُ بالهواء المنعش، المشبع باليود، ينفض عني آثار الساعتين الأخيرتين. توالتْ على ذهني خيالاتٌ لصورة الباشا، والأب، وضربات القدر، وتوقفت المشاهد المتتالية عند صورة صافي وهي تنادي: لوااحظ، لوااحظ.

لا يتوقف عن التصفيق

اكتشف الجميع فجأة أن العام الدراسي قد أوشك على الانتهاء، وانحصرت الحياة في محاضرات إضافية، وتجارب عملية يجب إجراؤها وتسجيل نتائجها، واجبات متأخرة يجب أن تسلم قبل فوات الأوان، أكواب من القهوة والشاي، لحى نابتة، والكل يرغب في أن ينتهي كل هذا، بأي شكل. عندما انتهينا من دروس الثلاثاء الكئيب، قبل المغرب بقليل، خرجتُ مع زميلي نادر من باب الكلية الرئيس. كانت حركة السيارات المسرعة لا تدع لنا الفرصة للعبور للجانب الآخر من الطريق، واضطررنا لانتظار الإشارة الحمراء. على الرصيف المقابل، وأمامي مباشرةً، رأيته للمرة الأولى. لم تكن هيئته تشبه ما رسمته له في خيالي، كان يرتدي حلة كاملة، بدون ربطة عنق، ولا يتوقف عن التصفيق. كنت قد سمعت قصته من بعض الزملاء. يقولون إنه كان دائم الشجار مع ابنه، الطالب بكليتنا، والذي لم يكن مجتهدًا تمامًا، حتى أنه رسب عامًا في الكلية، وأن الأب كثيرًا ما كان يتهم ابنه بالفشل، ويراهنه على أنه لن يستطيع الحصول على شهادة الهندسة. خيب الابن ظن أبيه، وفي يوم حفل التخرج، ذهبا معًا إلى الكلية حتى يأتيا بالشهادة الكبيرة. تلكأ الابن قليلًا حتى يلتقط بعض الصور مع زملاء دفعته، فسبقه الأب في الخروج، واجتاز الطريق إلى الناحية الأخرى،

منتظرًا مهندسه الصغير، وهو يعبر الطريق إليه مع أحد أصدقائه، في سعادة لا توصف. ثم تأتي سيارة متهورة، وينتهي كل شيء في لحظات. لا يعرف أحد ما الذي حدث بعدها، ولكن الجميع اعتاد على رؤية الأب الذي يأتي كل يوم في نفس الميعاد، قبل المغرب بقليل، يقف أمام باب الكلية، ينتظر خروج ابنه بالشهادة، ويصفق له طول الوقت.

فجأة تبدلت ألوان إشارة المرور، ولكزني نادر لأفيق من تأملاتي وأعبر معه الطريق، كان الرجل ما زال يصفق، وعندما تلاقتْ عيوننا، فوجئتُ به يندفع نحوي، ويجذبني من ذراعي بشدة، ويعبر معي إلى الناحية الأخرى، وهو يلومني على شرودي ولامبالاتي. حاولت التملص منه بهدوء، ولكنه لم يفلت ذراعي. التفتُّ لصديقي نادر، فأشار لي وهو يضحك في خبثٍ أن أجاريه. بيده الأخرى، حاول الرجل أن يوقف سيارة أجرة، وهو يسألني عن نادر. قال لي إنه لم يره معي من قبل، ولكنه رحب به ودعاه لأن يأتي معنا، فكل أصدقاء ابنه هم في مقام أبنائه. نظر في ساعته، وهو يهز رأسه أسفًا، قال إننا تأخرنا على الوالدة، التي تنتظرنا في لهفة، لنحتفل جميعًا بتخرجي. أخيرًا، نجح في إيقاف سيارة أجرة، وعندما كان يخبر السائق بالعنوان، ألهم الله نادر ليخبره بأن يذهب هو، على أن نقوم نحن باللحاق به، بعد أن يحتفل نادر بالمهندس النابغ. نظر لنا في غير تصديق، ممسكًا بيدي في قوة، بينما السائق يتململ، وهو يقول لنا في غلظة، إما أن نركب وإما أن نتركه يمضي. من خلفنا، جاء صاحب أحد المحلات، وهو يقدم مقعدًا

للأب المكلوم، كان يخاطبه باسم الأستاذ رجب، دعاه لأن يستريح قليلًا، وأن يترك الشباب، نحن، يمرحون ويلهون. أشار الرجل إلى السائق بالانصراف، فانطلق هذا لاعنًا. همس لنا الرجل إن هذا الموقف يتكرر بشكل شبه يوميّ، وأن الأستاذ رجب لن يلبث أن يفيق، ثم ينصرف من تلقاء نفسه إلى منزله. دعا الرجل أحد صبيانه ليأتي بكوب من الماء البارد للأستاذ رجب، قبل أن يلوح لنا مودعًا وهو يدعو لنا بالبركة والنجاح. مشيتُ عدة خطوات، وعندما التفتُّ ورائي، كانت نظرات الأب الملتاعة تطاردني، وهو يشير لي بأصبعه السبابة في رجاء، وقد توقف عن التصفيق.

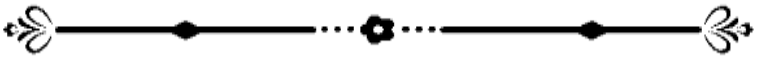

لعبة الموت والحياة

لقد تغير زوجي خميس. لم يعد كما كان منذ أن تزوجنا منذ أكثر من عشرة أعوام، قضيناها نعمل في الموالد. يبدأ الموسم من القاهرة، سيدنا الحسين والسيدة زينب، أم العواجز، ثم سيدتنا مريم العذراء، ثم مولد قديس قبطي اسمه مارجرجس، ثم نشد الرحال إلى الإسكندرية، المرسي أبو العباس، والقديسة دميانة، ثم السيد البدوي في طنطا، وإبراهيم الدسوقي في دسوق، ثم رحلة شاقة ومرهقة إلى خط الصعيد، سيدي عبد الرحيم القناوي في قنا، وأبو الحجاج في الأقصر، ثم القاهرة من جديد. وبين هذه المحطات، نتوقف في القرى الصغيرة، لنقدم عروضنا في الساحات الشعبية. يصوب زوجي خميس عليّ، في كل ليلة، خناجره العشرة، لتحيط بي من جميع الجهات، دون أن يبدو عليّ أي أثر للخوف، بينما تتعالى صيحات الجمهور البائس، والذي يريد دائمًا المزيد من المتعة والإثارة، نظير جنيهاته القليلة. يصرخ الجمهور مطالبًا زوجي بأن يصوب عليّ خناجره معصوب العينين، فيستجيب. ربما نفحه أحدهم خمسة جنيهات كاملة، وربما أهداه أحدهم سيجارة، بينما يكتفي الباقون بالتصفيق والتهليل. كانت فقرتي مع خميس هي أهم فقرات العرض، بعد فقرة الإنشاد والمديح في الموالد، وفقرة الراقصة والمغني في الساحات. لم يرزقنا الله بأطفال، وكنا نحمد الله على ذلك،

فالأجرة اليومية التي نأخذها من صاحب فرقتنا الجوالة، تكفي لطعامنا، بالكاد. لقد تغير خميس. هل هو الزمن؟ هل يتعاطى شيئًا؟ من أين؟ لقد بدأت يده تهتز قليلًا. منذ أسبوع، أصاب أحد خناجره كم جلبابي الفضفاض، قبل أن يستقر في اللوح الخشبي الذي أستند عليه. تمزق الكم، ولكنني أصلحته، فلا توجد لدينا رفاهية شراء جلباب جديد، أو حتى مستعمل. منذ يومين، أحسست بالخنجر يشق الهواء بجوار أذني، كان صفيره مخيفًا، وهو يخترق شعر رأسي، ولأول مرة منذ عملي مع خميس وزواجي منه، بدأت أشعر بالخوف. في الليل، وبعدما انفض العرض، طلبت منه ونحن نأكل بعض الجبن الأبيض بكسرات الخبز الأسمر، ونجرع كوبين من الشاي الثقيل، ألا يضع العصابة على عينيه مرة أخرى، على الأقل حتى تستعيد يده ثباتها. هز رأسه موافقًا وهو منكس الرأس. بالأمس، لم يضع العصابة، رغم مطالبات الجماهير الغاضبة. يشعرون أنهم قد خدعوا، واشتكى بعضهم لصاحب الفرقة. الليلة، هدد صاحب الفرقة خميس بأنه ما لم يصوب نحوي الخناجر، معصوب العينين، فلسوف تكون هذه الليلة هي آخر عهدنا بالفرقة. حانت اللحظة المعهودة، يمهد لها دومًا زميلنا عبده، حامل الطبلة الكبيرة، بضرباته المتسارعة، والتي أصابتني الليلة، على غير العادة، بالتوتر. يقف خميس دائمًا وسط الدائرة المرسومة بالطباشير الأبيض، يحاول الابتسام وهو يجول ببصره في الحاضرين، يتجنب النظر إليّ، صوب نحوي خناجره العشرة، مفتوح العينين، بدون مشاكل.

وعندما حانت الفقرة المهمة، لمحت صاحب الفرقة يراقبنا في الصفوف الأولى. وضع خميس العصابة على عينيه، تحسس موضع قدميه جيدًا، ركزت بصري على يده اليمنى، هل هي تهتز فعلًا؟ أم أن المسافة والتوتر يجعلانني أتخيل هذا؟ لأول مرة، أغمض عينيّ وهو يصوب عليّ، ولأول مرة منذ زمن طويل، نطقت الشهادتين. خنجر، اثنان، ثلاثة، ثم ألم حارق في ذراعي الأيسر، مع سيل من الدماء اللزجة والدافئة، أشعر به وأنا أطلق صرخات هستيرية، وسط صمت الجماهير المترقبة. رفع خميس العصابة، وهو يتقدم نحوي، أرى في عينيه دمعة يحاول ألا تنزل، وقبل أن يصل إلي، انطلقت أجري، أجري أجري، تلاحقني شتائم صاحب الفرقة، ونداءات خميس الملتاعة، وهو يجري من خلفي.

سبع بنات

"**أنا حامل**".

فاجأتني زوجتي بهاتين الكلمتين، وبدون تمهيد، وكرسالة على أحد تطبيقات الهاتف المحمول. سيظهر عندها الآن أني قد قرأت الرسالة، وبالتأكيد تنتظر مني ردًا، أي رد. أريد أن آخذ وقتي كاملًا قبل أن أرد عليها. بعد خمسة عشر عامًا من الزواج، وبعد إنجاب ست بنات، لم تستطع أن تنجب لي ولا حتى ابنًا واحدًا، حتى أطلق عليّ الجميع؛ العائلة، وزملاء العمل، وحتى الجيران، لقبًا أكرهه بشدة، هو (أبو البنات). تقول لي زوجتي إن الأب هو الذي يحدد نوع الجنين، وإنني أنا المسئول عن إنجاب البنات، وترسل لي مواقع لصفحات طبية تقول هذا الكلام الفارغ. هل أطلب منها أن تقوم بعمل كشف بالأشعة (سونار) لمعرفة نوع الجنين؟ ثم ماذا بعد؟ لقد أجرتْ الكشف مرتين قبل ذلك، وفي كل مرة كانت النتيجة سلبية، بنت أخرى. ماذا سأفعل في كل هؤلاء البنات؟ لقد اتفقنا أن نكتفي بعد الثالثة، ولكن الأمل في أن يكون الطفل القادم ذكرًا، ظل يراودنا، في كل مرة. لن أرد عليها. لقد قررت أمرًا، إن كان المولود القادم أنثى، فسوف . . .

تصادف رجوعي من عملي مع أذان العصر، ربما كانت هذه رسالة من السماء، سأصلي في المسجد، ثم أصلي صلاة استخارة. بعد العصر، كان

إمام المسجد يعطي درسًا قصيرًا عن رحمة الله بالمؤمنين، وعن أبواب النار السبعة، وأبواب الجنة الثمانية، ثم ختم حديثه بالدعاء للبلاد والعباد. انتظرتُ قليلًا حتى انصرف المصلون، ثم توجهت نحو مولانا، وأخبرته عن مشكلتي. قال إن الله يرزق من يشاء إناثًا، ويرزق من يشاء ذكورًا، ويرزق من يشاء من النوعين، ويجعل من يشاء عقيمًا. قال بأن الرسول، صلى الله عليه وسلم، بَشَّرَ أبا البنات بالجنة، سواء كن ثلاثة، أو اثنتين، أو حتى واحدة، بشرط أن يحسن تربيتهن. كان يتكلم وأنا أقرأ الآيات المنقوشة على جدار المحراب من خلفه: "فَنَادَتْهُ المَلائِكةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلي فِي المِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشرُكَ بيَحْيَى". قلت له إنه حتى نبيّ الله زكريا قد دعا ربه لأن يرزقه الله الولد، يحمل اسمه، ويرثه. قال إن نبينا محمد لم يبق من ذريته إلا إناثًا، وأن اسمه يملأ السموات والأرض، حتى تقوم الساعة، وأن ميراث الأنبياء هو العلم. طلب مني الشيخ أن أدعو الله أنا الآخر، وأن أُكْثِر من الصلاة والذكر، لعل الله يستجيب لي، كما استجاب لزكريا. لم أخبره بنيَّتي، كنتُ واثقًا من أنه سيحاول إثنائي عنها. قبل أن أصعد إلى المنزل، مررتُ على بقالة عم عماد، لأشتري الحلوى المعتادة للبنات. تذكرتُ كيف بدأ الأمر منذ أكثر من عشرة أعوام بابنتي البكرية، صفاء. كانتْ تشير إلى الحلوى الملونة، والعصائر، ورقائق البطاطس المقرمشة، وكانت فرحتها وهي تمسك بيديها الصغيرتين الكيس البلاستيكي، تنسيني هموم الدنيا. ومع بسمة، صار الكيس كيسين، وانضمت الشيكولاتة واللادن لقائمة المشتريات. شدن لم

تكن تحب الحلويات، كانت تنتظرني لأحضر لها كراسات الرسم والألوان، أما بسنت، فكانت تحب اللعب بالصلصال، وعمل أشكال بالمكعبات البلاستيكية. حبيبة عقدتْ صداقة مبكرة مع عم عماد نفسه، وصارتْ تأخذ منه ما تريد، على حسابي. أما نور الصغيرة، آخر العنقود، فهي لم تعرف عم عماد بعد. تريدني أن أحملها طوال الوقت، أو أن تتسلق ظهري، أو أن تنام فوقي. دخلتُ الشقة شاردًا، وأنا أفكر، كيف سأخبرها بقراري. كانت أم البنات نائمة، وبعد أن اغتسلتُ، وتناولت غذائي، تمددتُ بجانبها على الفراش، وبيننا الصغيرة نور. هل هي نائمة فعلًا؟ أم أنها تتظاهر بالنوم؟ هل هي غاضبة لأنني لم أرد على رسالتها؟ أم لعلها حزينة؟ هل شعرتْ بما انتويته؟ هل هذه هي نور التي تجثم على صدري؟ أم أن . .

كان جسمي قد أصبح ثقيلًا للغاية، ربما يزن أطنانًا، ولم أعد أستطيع أن أتحرك. ثمة رجلان عن يميني وعن يساري، يمسكان بي، ويدفعاني في شدة وغلظة. كانا أطول مني، وأقوى بمراحل، ولم أستطع أن أقاومهما. أقررتُ بذنوبي، منكسًا رأسي، وصدر الحكم عليّ. عندما وصلنا إلى الباب، ازدادت الحرارة لدرجة لا تطاق، وشعرت بحبات العرق اللزجة تسيل على وجهي، ولم أستطع حتى أن أمسح العرق بيديّ المكبلتين من وراء ظهري. وانفتح الباب، وأغمضت عينيّ من هول المنظر، وأحسست بقدميّ وكأنهما بلا عظام، وكدت أن أسقط على الأرض، لولا أن أمسك بي الرجلان بقوة، واستعدا لدفعي إلى الهاوية، وإذا بصفاء، مرتديةً ثيابًا بيضاء

جميلة، تقف بين الباب وبيني، وتهز رأسها للرجلين، في حزمٍ، لتمنعهما من إلقائي. كنتُ أريد أن أحتضنها، وأن أربتُّ بيدي على شعرها الأسود الطويل، وأن أطبع قبلة على خدها الوردي، ولكنني لم أقدر. لم أستطع حتى أن أتكلم. حاولتُ كثيرًا، ولكن يبدو أنني فقدت القدرة على الكلام، أو حتى على الصراخ. جذبني الرجلان بسرعة، واتجها بي إلى الباب الثاني، وتكررتْ الأحداث، هي هي، ولكنها كانتْ بسمة هذه المرة، ثم الباب الثالث، فالرابع، فالخامس، فالسادس، حتى نور الصغيرة، كانت هناك. يا الله! ألن تنتهي هذه الأبواب؟ وتذكرتُ درس إمام المسجد، يتبقى بابٌ أخير، وقفنا أمام الباب، ووقف الرجلان من خلفي، واستعدا لدفعي بقوة، وانفتح الباب السابع، وتلفتُّ حولي وقد أيقنتُ بأنها النهاية، ألن ينقذني أحد؟ اقتربتُ، اقتربتُ، وإذا بي أصحو مفزوعًا، غارقًا في عرقي، وزوجتي تجلس بجواري وهي تنظر لي في حنان، تبسمل وتحوقل، وأنا أردد بلا توقف، اللّٰهُمَّ اجعلها سابعة، اللّٰهُمَّ اجعلها سابعة.

هل يلعب الآليون كرة القدم؟

ازدحمت غرفة اجتماعات أعضاء الاتحاد الدولي لكرة القدم (FIFA) في مقر الاتحاد، في مدينة زيورخ السويسرية، أثناء اجتماعهم السنوي تمهيدًا لإقامة كأس العالم عام **2038**. تساءل العديد من الأعضاء عن الأسباب الجوهرية التي دعت الرئيس إلى أن يعقد الاجتماع حضوريًّا هذه المرة، وهم قد اعتادوا على عقد اجتماعاتهم افتراضيًّا خلال السنوات الأخيرة، توفيرًا للوقت وللنفقات، حتى دخل الرئيس القاعة، فأوقف بصرامته المعهودة الفوضى الكلامية. رحب الرئيس بالأعضاء الحاضرين في عجالة، وأعلن عن جدول الأعمال الذي يتضمن مناقشة الاقتراحات الجديدة المقدمة من بعض أعضاء الاتحاد. كان الاقتراح الأول مقدمًا من الاتحاد الأوروبي، بشأن السماح للاعبين الذين تم استبدال بعض أعضائهم بأجزاء آلية، أو تم تركيب شرائح الكترونية لهم، والذين يعرفون باسم السايبورج، بالمشاركة في كأس العالم القادمة. عرض المندوب الأوروبي وجهة نظره بأن نسبة البشر السايبورج في تزايد مطرد، عامًا بعد عام، وأن من حق هؤلاء اللاعبين أن يكون لهم مكان في هذا المحفل العالمي، لا سيما وأنه قد سبق الاستعانة بحكام سايبورج في البطولة السابقة، وأبدوا كفاءة هائلة، فيما يختص باللياقة البدنية، والسرعة، وحدة

البصر. علت الهمهمات والمناقشات الجانبية مرة أخرى حتى أوقفها الرئيس وهو يضرب بيده على طاولة الاجتماعات، وطلب من الحضور الهدوء، بينما طلب المندوب الأوروبي من الجميع مشاهدة مقطع فيديو قصير. صمت الجميع، وقامت سكرتيرة الرئيس بعرض الفيلم الهولوجرافي ثلاثي الأبعاد. كان الفيلم يستعرض مسيرة عدد من اللاعبين البارزين السابقين، والذين لم يستطيعوا استكمال مسيرتهم الكروية في الملاعب بسبب إصاباتهم المتكررة. دمعت عينا الرئيس عندما تم عرض مسيرته هو نفسه عندما كان لاعبًا شابًا واعدًا، وطلب من السكرتيرة أن توقف العرض. احتج المندوب الأفريقي بأن هذا الاقتراح يعصف بمبدأ تكافؤ الفرص، فكيف سيتمكن اللاعبون العاديون من منافسة هؤلاء السايبورج المجهزين؟ كما أن إمكانيات القارة السمراء، المادية والتكنولوجية، لا تسمح بمجاراة أوروبا وأمريكا واليابان في هذا الشأن، بالإضافة إلى أن قوانين اللعبة تمنع هذا الأمر. رد المندوب الأوروبي بأن العالم يتطور بشكل سريع للغاية، وأن قوانين اللعبة قد تم وضعها منذ أكثر من مائة وخمسين عامًا، وأنه من غير المعقول السماح لقوانين وضعها أناسٌ ماتوا منذ عشرات السنين بأن تظل تحكمنا حتى اليوم، خصوصًا، بعد كل هذه الفتوحات العلمية والطبية والتكنولوجية، وأننا هنا اليوم لتغيير هذه القوانين، ووضع قوانين جديدة تتماشى مع متطلبات العصر. طلب مندوب أمريكا الجنوبية الكلمة، وحذر من أن هذه التعديلات المقترحة سوف تقضي على متعة كرة القدم،

وأننا لن نجد لاعبين آخرين في المستقبل مثل بيليه ومارادونا ورونالدو وميسي، وأن هؤلاء السايبورج يمكنهم المشاركة في اللعبة كحكام أو مدربين أو محللين، ولكن ليس كلاعبين. اقترح المندوب الآسيوي أن يتم التفرقة بين اللاعبين الذين أجريت لهم عمليات تعويضية بعد إصابتهم، وبين من يتحولون إلى سايبورج برغبتهم، فيسمح للأولين ويمنع الآخرون، مثلما يتم منع المتحولين جنسيًّا من الرجال من المشاركة في منافسات السيدات. علا صوت مسئولة الكرة النسائية في غضب، وهي تذكر الحضور بأن منافسات السيدات قد أصبحت أقوى من منافسات الرجال، وأن العديد من اللاعبات السيدات يجرون عمليات تحول جنسي ليتمكنوا من اللعب في مسابقات الرجال، الأقل في المستوى البدني والعضلي.

طلب الرئيس العودة إلى مناقشة جدول الأعمال، على أن يتم اتخاذ القرارات في نهاية الجلسة. اقترح المندوب الياباني إقامة بطولة موازية لكأس العالم، يكون اللاعبون فيها من الآليين (الروبوت) على شكل البشر (الهيومانويد)، وأن يرتدوا الملابس الرياضية المميزة لدولهم، وأن يتم برمجة هؤلاء الآليين، ليكونوا ذاتي القيادة. احتج المندوب الأمريكي، وطلب بأن يسمح للمدير الفني للفريق بأن يتدخل أثناء المباريات، وأن يعطي تعليماته للاعبيه الآليين. طلب المندوب الأوروبي بأن يتكون فريق موازي من البشر العاديين، يقوم كل منهم بتوجيه الروبوت المناظر له، عن طريق

الدوائر اللاسلكية المغلقة. احتج مندوبا أفريقيا وأمريكا الجنوبية، بينما تحمس الأخرون للفكرة، وانطلقت التعليقات من كل مكان:

- لن يكون هناك إصابات، ولا تضييع للوقت.

- سوف نشاهد أهدافًا كثيرة، بدلًا من أن تنتهي المباريات الطويلة بهدف واحد أو اثنين، وفي بعض الأحيان لا يكون هناك أهدافٌ، على الإطلاق.

- لن يكون هناك احتجاجات على الحكام، ولا اشتباكات بين اللاعبين، ولا مشادات مع الجماهير.

- سوف نمنح هؤلاء الآليين أسماء النجوم الأسطورية، وأرقام قمصانهم، وربما منحناهم أيضا ملامحهم وتصفيفة شعورهم، وربما أحجامهم كذلك.

- سوف تتحول مقولة شراء لاعب إلى حقيقة وليست مجازًا.

- إن الآليين الآن يقومون بالعديد من الأعمال نيابة عن البشر، بل إنهم يقومون بإجراء العمليات الجراحية للمرضى، فهل سيعجزون عن لعب الكرة؟

- سنشاهد النسخ الآلية لبيليه وميسي وحارس المرمى الروسي ياشين

- سنستغل تقنيات الذكاء الاصطناعي وتعليم الآلات وشبكات الخلايا العصبية، ونقوم بتغذية هؤلاء الآليين بكل المباريات المسجلة لهؤلاء النجوم، مع الجمل التكتيكية الحديثة، ونربط عقولهم الالكترونية معًا، يا للروعة!

- سننقل بعض هؤلاء الآليين ليلعبوا مبارياتٍ على المستعمرة الأرضية الجديدة على سطح القمر، وربما تقام البطولة الجديدة على المستعمرة المريخية إذا اكتملت حسب ما هو مخطط له.

- لن نحتاج إلى حكام، فالطائرات المسيرة (الدرونز) والمزودة بكاميرات ذات دقة هائلة سوف تنقل كل شيء إلى حجرة التحكم، والتي سوف تتخذ قراراتها في جزء من مليون من الثانية.

هدد المعارضان الأسمر واللاتنيني بالانسحاب من الجلسة، بل ومن الفيفا كلها إذا استمرت المناقشات في هذا الاتجاه، وأخيرا استجابا لمحاولات الرئيس بإقناعهما بالاستمرار في الجلسة، ومناقشة العوائد المالية المنتظرة، والتي سيتم توزيعها على الأعضاء. تحدث الرئيس عن التجربة الجديدة، وحجم الإعلانات المنتظرة، والتعاقدات مع الرعاة، وحقوق البث التليفزيوني، والبث على قنوات الإنترنت المشفرة، وحصتنا من ألعاب الفيديو، بالإضافة إلى عوائد المراهنات.

اقترح المندوب الآسيوي أن تقام بطولة تجريبية، يتنافس فيها أربعة من الفرق: فريق من اللاعبين العاديين، وليكن الفريق الفائز بالنسخة الأخيرة من بطولة كأس العالم، وفريق من السايبورج، وفريق من الآليين ذاتي القيادة، وفريق من الآليين الموجهين من الخارج. طلبت مسئولة الكرة النسائية أن يتم تنظيم بطولة أخرى نسائية، بذات النوعيات الأربع، على أن يتم مراعاة الجماليات الأنثوية للاعبات الروبوتات. وعندما

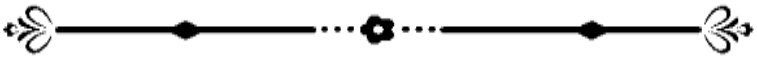

تم أخذ الأصوات، كانت الموافقة بالإجماع. خرج الأعضاء من اجتماعهم وهم يعلنون الأخبار السعيدة لجماهير الكرة في العالم.

في الوقت نفسه، كان عدد من الأطفال الصغار، حفاة الأقدام، يلعبون الكرة في ساحة قريتهم الصغيرة، المخططة بالطبشور الأبيض، يصرخون ويمرحون، يصخبون ويلهون، يتشاتمون ويتصالحون، يهللون حين يحرزون أهدافًا في المرمى البدائي المصنوع من جذوع النخل، ويشربون من قارورة المياه المملوءة من البئر القديم، وعندما سمعوا الأخبار السعيدة، تساءل أحدهم في براءة: إذا فاز الآليون بالبطولة، هل سيسمحون لنا بلعب الكرة بعد الآن؟

المباراة النهائية

سيداتي آنساتي سادتي، يسعدني أن أكون معكم، في الاستوديو التحليلي، للمباراة النهائية لكأس العالم لكرة القدم للروبوتات الشبيهة بالإنسان أو الهيومانويد **humanoid**. يتنافس فريق هوندا، والذي يدخل المباراة بفريق من طراز أزيمو **Asimo**، والذي يمتلك سبعةً وخمسين درجة من حرية الحركة **degrees of freedom**، تمكنه من المناورة بشكل ممتاز، وبين فريق تسلا، والذي يعوّل على طراز تشامب **Champ** أو البطل، والذي يعتمد على نظام **Lidar** لاكتشاف العوائق باستخدام أشعة الليزر. أُذَكرُ حضراتكم بأن هذه هي المرة الأولى التي تقام فيها نهائيات كأس العالم لكرة القدم بدون العنصر البشري، وبعد مائة عام من صدور المجموعة القصصية (أنا روبوت)، للعالم والمؤلف الأمريكي الشهير، إسحاق عظيموف **Asimov** عام **1950**، وبالمناسبة، فإن فريق هوندا قد أطلق على هذا الطراز من لاعبيه الآليين اسم أزيمو، تيمنًا باسم هذا العالم الكبير. معي في الاستوديو التحليلي، زميلي مو، وهو لمن لا يعرفه من أبناء الجيل الجديد، واحد من أساطير اللعبة، منذ أكثر من عشرين عامًا، عندما كان مسموحًا للبشر العاديين بلعب كرة القدم.

- كابتن مو، في رأيك، من هو الفريق الأوفر حظًّا للفوز بالمباراة؟

- أعتقد أن فريق هوندا هو المرشح الأول للفوز بالبطولة، فهذا الهيومانويد أزيمو هو نتاج عملية تطوير تتم منذ أكثر من ثلاثين عامًا على مستوى تعليم الآلات **machine learning** واكتساب خصائص الذكاء الاصطناعي **artificial intelligence** والقيادة الذاتية **autonomous or self-driving**، كما أن شركة هوندا تمتلك مجموعة من أعظم المبرمجين في العالم، وهي تراهن على قدرات هذا الطراز من الروبوت الخارق.

- اسمح لي يا سيد مو، فأنا لا أوافقك الرأي، فإن شركة تسلا قد استطاعت في السنوات الأخيرة أن تجتذب العديد من صفوة خبراء العالم في مجال البرمجيات، كما أن الهيومانويد تشامب أقوي من الناحية الميكانيكية من نظيره أزيمو، ولا تنسَ أنني في الأساس مهندس ميكاترونيات **mechatronics** ولستُ لاعبًا سابقًا مثلك.

- ربما، على كل حال ما هي إلا دقائق وتبدأ المباراة.

- وكيف ترى التطور الذي حدث في اللعبة في الأعوام الأخيرة؟

- لقد تغير العالم كثيرًا في السنوات الماضية، وكرة القدم، باعتبارها اللعبة الشعبية الأولى في العالم، ليست بمعزل عن هذا التطور. أتذكر عندما كنت في نهاية مشواري في الملاعب، ظهرت فكرة إدخال البشر من النوع السايبورج **cyborg** إلى ملاعب الكرة. كانت الفكرة جذابة، ولاقت دعمًا كبيرًا من عدد من اللاعبين الخرافيين، الذين اضطروا لإنهاء حياتهم

الكروية مبكرًا بسبب الإصابات. كانت فكرة أن تستبدل عضوًا أو أكثر من أعضاء جسمك، بعضو ميكانيكي، يعمل بشكل أكثر كفاءة من عضوك الأصلي، تبدو فكرة خيالية في البداية، ثم مع انتشار البشر السايبورج، ومشاركتهم في اللعبة، كانت النتائج مذهلة. لم تكن المقارنة عادلةً قط مع البشر العاديين. كانوا يجرون بسرعة هائلة، ويصوبون بقوة، ويمررون بدقة، وحتى في المهارات الفردية، كانوا يتفوقون علينا، خصوصًا لمن اختار منهم أن يتصل بشريحة الكترونية، يتم تركيبها في المخ مباشرة، كانت سرعة استجابتهم مذهلة، كما أنهم كانوا يُجرون عشرات الحسابات الذهنية في لمح البصر. لقد بدأ طوفان من عمليات تحويل البشر العاديين إلى سايبورج، ليكتسبوا مهارات وقدرات فائقة. أتذكر أنه تم إجراء مباراة استعراضية بين فريق من السايبورج مع فريق من نجوم العالم، وكانت النتيجة كارثية. لقد هزمونا بفارق عشرين هدفًا.

- وكيف دخل الروبوتات إلى اللعبة؟

- كان السايبورج، بشكل أو بآخر، بشرًا. لهم كل عيوب البشر، كانوا يعترضون على الحكام، يشتبكون مع منافسيهم، وحتى مع زملائهم ومدربيهم، وبالطبع مع الجمهور، كما كانوا يحتاجون لفترات أطول من الراحة، ومتابعات دورية للأجزاء المتصلة بين تركيبهم البشري وأعضائهم الآلية. في ذلك الوقت، تطور الروبوت الشبيه بالإنسان أو الهيومانويد على مستوى العالم كله، وصار موجودًا في كل مكان، في الشركات، في المصانع، في

المستشفيات، في المتاجر، وحتى في البيوت. إن الأطفال والشباب الذين يطلبون من الهيومانويد الشخصي الخاص بهم، مساعدتهم في الدراسة، واللعب معهم، وإحضار الأشياء لهم، قد سئموا من فكرة اللعب التقليدية، والتي يتصادم فيها اللاعبون، ويصاب بعضهم بإصابات خطيرة، وقد يموت بعضهم في الملاعب. كما أن اللعبة بنظامها القديم، قد أصبحت مملة، تصور أنه في الماضي، كانت المباراة تلعب لمدة تسعين دقيقة كاملة، بالإضافة إلى الوقت المحتسب بدلاً من الوقت الضائع، والذي يتفنن بعض اللاعبين في إضاعته، وقد تمتد المباراة لأشواطٍ إضافية، ثم في النهاية قد تنتهي المباراة بدون أهداف. أي عبث هذا؟ إن الجماهير الآن، ونحن في عام **2050**، عصر استيطان المريخ، تريد دائمًا أن تشعر بالإثارة والتجديد.

- بمناسبة استيطان المريخ، هل سمعت عن رغبة الملياردير المعروف، إيلون ماسك، صاحب شركة تسلا، وصاحب أول مستعمرة بشرية على كوكب المريخ، في أن يقيم مباراة لكرة القدم هناك؟

- أعتقد أن هذا قد يحدث قريبًا جدًا، وربما تقام بطولة كأس العالم القادمة هناك، وربما تنظم شركات السياحة رحلات فضائية مكوكية لكوكب المريخ لمشاهدة مباريات البطولة، وتشجيع فريقك المفضل، والتقاط صور تذكارية في المستعمرة البشرية هناك.

- كابتن مو، وماذا عن الموهبة البشرية الفطرية أو الطبيعية؟ ألن يكون هناك مجال للعب كرة القدم، بالنظام القديم، بين البشر العاديين؟

- دعني أذكرك أنه حتى في مناحي الحياة المختلفة، خارج مجال كرة القدم، لم يعد للمهارات والقدرات البشرية العادية أية جدوى، اللّٰهُمَّ إلا في كرة الشوارع، للهواة فقط. إن العالم الآن يتحدث بلغة احترافية واحدة. عندما كنت ألعب الكرة، كانت عقود بعض اللاعبين قد تخطت مائتي مليون دولار سنويًّا. بأقل من نصف هذا المبلغ، استطاعت شركة هوندا أن تطور من طراز أزيمو عبر عشرات السنوات، ليصل إلى هيومانويد كروي بقدرات وإمكانيات خرافية. الأطفال والشباب الموهوبين، لم يعد لديهم أية فرصة. فرصتهم الوحيدة هي في تطوير نماذج أفضل من أزيمو وتشامب، على مستوى الآليات، وعلى مستوى البرمجة. إننا نترقب اليوم المباراة النهائية في البطولة، ولكن علينا ألا ننسى أننا كنا على مدار الأيام السابقة، نتابع ثمانية وأربعين فريقًا مختلفًا، يمثلون دولًا وشركاتٍ وجامعاتٍ وغيرها. إنك عندما تتعامل اليوم مع أحد الأشخاص، لا تعرف إن كان إنسانًا أم هيومانويد، وإذا دخلت معه في منافسة في مجاله فأنت ضائع لا محالة يا صديقي.

- بالمناسبة، نسيت أن أخبرك أنني . .

- لا، لا تقل شيئًا.

- الآن سيداتي وسادتي، بشرًا كنتم أم سايبورج، ولا أعرف إن كان الهيومانويد يتابعون مثل هذه الأحداث أم لا، تبدأ المباراة.

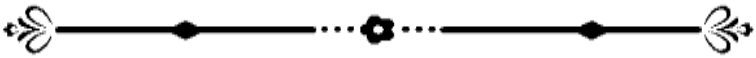

محتويات الكتاب

إهداء..... 5

الهالة 6

الكلاب تحكم المدينة..... 21

جائزة الأستاذ فريد 37

طلوع السلالم..... 49

لواحظ..... 53

لا يتوقف عن التصفيق..... 57

لعبة الموت والحياة 60

سبع بنات 63

هل يلعب الآليون كرة القدم؟..... 67

المباراة النهائية.....73

محتويات الكتاب 78

للتواصل مع الدار

التعاقدات

المعارض

الصفحة الرسمية

مسابقات

طلب إصدارات

الإعداد

التوزيع